مجلة
روايات أحلام

liilas.com

قلبك لي!

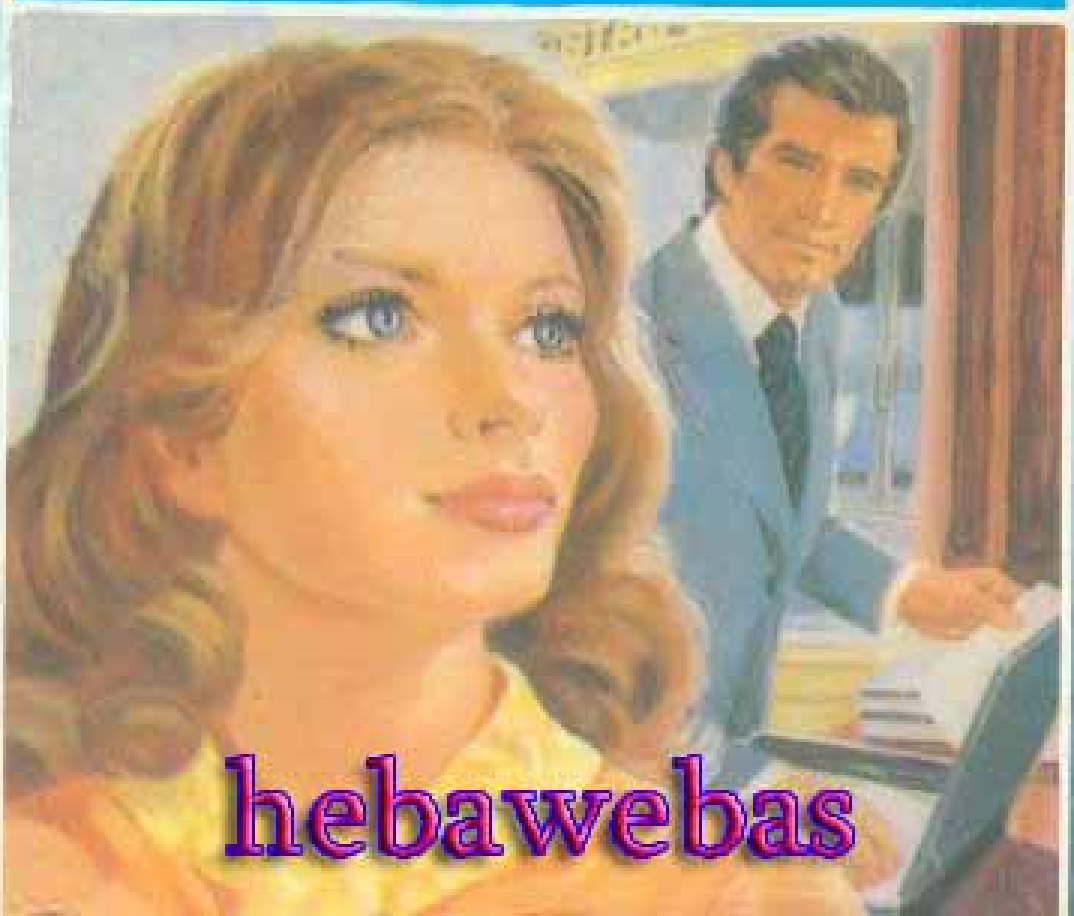

hebawebas

liilas . com

مجلة روايات أحلام

قلبان لي

لولا لقائها به لسارت حياتها كما تسير حياة سائر الفتيات , فى دائرة مرسومة بدقة .

يونا فتاة يتيمة نشأت فى ميتم, تعمل سكرتيرة عند كاتبة روائية شهيرة , و تفصلها ايام عن موعد الزفاف من خطيبها رايز . . .

ثم اقتحم اوسكار ديسموند حياتها فغيّر اتجاه دقات قلبها . لكن اوسكار رجل خبير بالحياة يعيش فى عالم أبعد من احلامها, يمتلك النفوذ والشهرة والمال و فى حياته امراة تقف حاجزاً بينه و بين كل النساء . . .

hebawebas

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦ د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١,٥ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ ـ لقاء

نظرت يونا إلى ما حولها في شقة ميريل بولتون مفكرة في حفلة الكوكتيل التي لا يظهر أي دليل على قرب انتهائها رغم بدئها في الساعة الخامسة، وها الساعة الآن السادسة والنصف. كانت قد اتفقت مع خطيبها رايز على ان يلتقيا في السابعة أمام مقهاهما المفضل في بروكلن، وكانت تتصور أنها ستتمكن من العودة إلى شقتها التي تقطن فيها مع صديقة، في شوارع بروكلن الخلفية، لتغير ثيابها. ستضطر الآن الى مقابلته بالثياب التي ترتديها وهي مؤلفة من سروال أحمر وقميص أسود ضيق ولكنها رغم ذلك قد لا تصل في الوقت المحدد ذلك أن شقة ميريل بولتون تقع في شارع ريتر سايد درايف بمحاذاة نهر الهدسون، والوقت هو مساء الجمعة، وقت الازدحام الذي يترك فيه الناس المدينة قاصدين الضواحي الهادئة. وهذا يعني أنها قد لا تجد سيارة أجرة تقلها إلى المقهى... لا ريب في أنها ستتأخر... مسكين رايز!

أن تكون سكرتيرة لمؤلفة قصص شهيرة أمر عظيم غير أن ميريل تنسى أو تتناسى دائماً أن ليونا حياة خاصة وتجاهلها هذا يجعل ساعات عمل يونا تمتد أحياناً إلى المساء علماً أن يونا عادة لا تعترض... ففي معظم الأحيان حين تكونان منشغلتين برواية جديدة شيقة، تحس بلهفة إلى اكتشاف حبكة القصة تفوق لهفة المؤلفة، لكن هذه الحفلات التي تجري عادة عند نشر رواية جديدة، باتت تزعج يونا. نعم هي لا تنكر أن الالتقاء برجال الصحافة وبأفراد جمعية الكتّاب والمؤلفين الأدبية أمر

مفيد لكنها الليلة تريد أن تنتهي هذه الحفلة باكراً لتلقى رايز هنتر. لقد احست الآن ان هذه الامسية هي احدى الامسيات التي لا تجري الأمور فيها كما تريد.

كانت في التاسعة عشرة من عمرها حين باشرت العمل عند ميريل وهي ما زالت منذ خمس سنوات حتى الآن تتمتع بعملها ولم يحدث أن تعسَّر الوضع إلا عندما خُطبت لرايز الذي لا يوافق على استئثار ميريل بمعظم وقت يونا. . . ورايز محام وهو شريك صغير في مؤسسة قانونية شهيرة في المدينة، وهما يخططان للزواج في الخريف القادم. تعلم يونا أن ميريل على دراية بدنو ذلك اليوم الذي ستتركها فيه، فرايز لن يسمح لزوجته بالعمل في وظيفة تستهلك أوقاتها كلها وهذا يعني أن على ميريل العثور على سكرتيرة تفهمها، وهذا ليس بالأمر اليسير فبين المرأتين ميريل ويونا علاقة وثيقة، لذا لن تستطيع سكرتيرة أخرى أن تحل محل يونا.

تقدمت ميريل في هذه اللحظات إلى سكرتيرتها. انها امرأة طويلة وعريضة، في العقد الخامس من عمرها، غير متزوجة، نذرت نفسها لعملها. ولمؤلفاتها شهرة واسعة في أميركا والعالم أجمع فقد ترجمت إلى لغات عدة ذلك أن عملها يروق لكل الناس وقد شاع مؤخراً أن أحدهم يريد أن يحوّل إحدى قصصها إلى فيلم سينمائي. كان هذا كله يعطي يونا إحساساً بالإثارة علمت أنها ستفقده بعد زواجها.

إنها تعلم أن بإمكان ميريل المالكة مبلغاً وفيراً من المال عدا إيرادها الشهري، التقاعد غير أنها تتمتع بكتابة القصص بالقدر الذي يتمتع به قارئوها لذا لا تستطيع تصور الحياة دون أحداثٍ تكتبها باستمرار.

ميريل ترتدي البدلات الرسمية في كافّة المناسبات، وتضع نظارة ذات إطار بلاستيكي سميك تضفي عليها مزيداً من التزمت علماً أن هذا يخالف الواقع وقد اكتشفت يونا هذا منذ أمد بعيد فميريل ينبوع لا

ينضب من المرح، لها عقل راجح يجعلها تتلقى كل انتقاد بروح عالية.

نظرت ميريل إلى كأس يونا الفارغة وسألتها:

- أتجدين المتعة والسرور في الحفلة يونا؟

كانت متعلقة بسكرتيرتها الشابة تعلقاً شديداً يرقى إلى درجة الحب الذي يُرى بين أم وابنتها اكثر منه بين موظف ورب عمله.

ابتسمت يونا، وردت متنهدة:

- ظننت أن الحفلة ستنتهي قبل هذا الوقت ميريل.

- أنت على موعد مع ذاك الشاب إذن. . فلننتظر. هذا أفضل لروحه. . فالبعاد يزيد القلب تأججاً وتعلقاً بالشخص الآخر.

ضحكت يونا:

- لقد قلت هذه العبارة مراراً وكانت النتيجة دائماً انتظار من قبل رايز. ترى متى تنتهي هذه الحفلة؟

- في السابعة. . أيرضيك هذا؟

فتحت يونا فاها تريد الرد ولكن مراسلاً لجوجاً سبقها إلى ميريل وراح يتناقش مع المؤلفة. فتنهدت يونا وعادت أدراجها إلى المطبخ العصري الكبير الحديث المتصل بغرفة الجلوس. . صبت ما بقي في كأسها في المغسلة ثم أخرجت علبة سكاير من جيبها أشعلت منها واحدة وراحت تنظر إلى صورتها المنعكسة في المرآة المثبتة فوق رف تجفيف الصحون.

عينان خضراوان ناعستان تحيط بهما أهداب سوداء أمام شعر أشقر فاتح يتدلى بنعومة على كتفيها ويتجعّد في نهايته، وشعرها كثيف حريري الملمس وهو لا يحتاج الى تجعيد ليبدو جذاباً.

فجأة، أحست أن احداً في الباب المفضي الى مدخل قسم العمل في الشقة يراقبها. شخصاً ضخماً عريض المنكبين أسمر الوجه جذاب، شعره أسود فاحم كجناح غراب، أجعد قليلاً يرتدي بدلة سوداء رسمية ومعطفاً قاتماً يصل إلى ركبتيه. كان أكثر جاذبية من أي رجل

رأته قط، كامل الرجولة، في الخامسة والثلاثين من العمر تقريباً. وقد استطاعت رغم انحباس أنفاسها من القول:

- من انت بالله عليك؟

- صحافي.

اصطبغت وجنتاها بحمرة الخجل تحت ثقل نظرته، وانزعجت من إحساسها المفاجىء بالتوتر. فهذا الرجل جعلها تبدو قزماً أمامه علماً أنها تعد بين النساء طويلة... حاولت أن تظهر هدوءاً هو في الواقع بعيداً عنها كل البعد.

- يستخدم الضيوف الباب الأمامي.

رفع كتفيه العريضتين قبل أن يشعل سيكاره.

- أفضل رؤية ميريل على انفراد.

بللت شفتيها بلسانها:

- حقاً؟ وهل ترغب هي في مقابلتك؟

- أظن هذا، فأنا وميريل صديقين قديمين نادراً لسوء الحظ ما يلتقيان.

مررت يداً مضطربة على شعرها:

- حسناً.. اذا تقدمت الآن فستراها.

- سأنتظر حتى يغادر هذا الحشد، إن كنت لا تمانعين. مضى على سفري زمن طويل لذا اريد رؤية فتاتي العجوز وحدها.

صُدمت يونا.. كيف يجرؤ على تسمية ميريل بولتون بالفتاة العجوز؟ من هو؟

ارتدت على عقبيها إلى حيث تقف ميريل لتخبرها عنه لكنه أمسك بمعصمها أثناء مرورها به وأوقفها متمتماً:

- لا تذهبي.. رجاء رافقيني.. ما رأيك لو تحضرين لي شراباً؟

انتزعت يونا معصمها من يده التي أرسلت الدم حاراً في عروقها. بيد أن ما أرعبها هو تجاوبها الشديد مع لمسة أصابعه القاسية.

- إذا اردت شراباً فاحضره بنفسك.

ابتسم:

- على ما أذكر أن ميريل تحتفظ بشراب لذيذ في البراد لحالات طارئة كهذه.

انقبضت يدا يونا قبل أن تدنو من البرّاد.. إنه يعرف الكثير حقاً عن ميريل اخرجت زجاجة من الخلف صبت له منها شراباً بارداً.

- ثلج؟ (سألته ببرود).

- طبعاً.

سألها بعدما قدمت إليه الكأس:

- ألن تشاركيني شرابي؟

- لا.. شكراً لك.

نظرت الى ساعتها.. إنها السابعة تقريباً... فسألها:

- ألديك موعد هام؟ ألست سكرتيرة ميريل؟

- الاجابة نعم على السؤالين.

التفتت إليه ثانية متجنبة في هذه المرة النظر إلى عينيه ولكنها وجدت فجأة عينيها تتجمدان في عينيه اللتين أومضتا حين التقتا بعينيها. شعرت بأن الأمر جنون رائع ولكنها شعرت أيضاً بأنها تغرق فيهما.. ففي هاتين العينين شيء خطير مُثير ومحرّم، كأن له وجوداً ملموساً. وقد بدا أنه أحس الإحساس ذاته فقد ضاقت عيناه وأطبق جفناه. ما هذا الذي يغشى تفكيرها.. الامر.. جنون.. جنون مطبق!

أجبرت نفسها على إشاحة بصرها عنه وقالت شاهقة:

- يجب أن أعود الى الداخل.

انفتح فجأة باب غرفة الجلوس الذي دخلت منه ميريل وهي تقول:

- لقد ذهب الجميع و...

ثم صمتت قبل أن تصيح بذهول:

- اوسكار... اوسكار ديسموند!

ابتسم الرجل وتراقصت عيناه، فركضت ميريل إليه تعانقه بحرارة. في حين أن عينيه سعتا إلى عيني يونا التي اضطرت إلى تمالك أعصابها وإعادة تماسكها.

اوسكار ديسموند! ليس بصحافي فحسب كما اعتقدت بل رئيس إدارة دار ديسموند للنشر التي تعتبر أكبر مؤسسة للتوزيع والنشر والصحافة في البلاد.

لولا إحساسها بالغبن لضحكت.. وهي ظنت أنه يسعى وراء قصة! استدارت لتشعل سيكارة أخرى بأصابع مرتجفة... اوسكار ديسموند! يا الله!

ثم سمعت ميريل تقول:

- يونا.. عزيزتي، تعالي لأعرفك إلى أقرب واقدم صديق لي.. اوسكار ديسموند.. سمعت به دون شك؟

تمتمت يونا بتأدب.

- طبعاً.

عندما أمسكت أصابعه القوية بيدها اعتلى الاحمرار وجنتيها.

- الآنسة... (قال بأدب).

- يولان.. لا أحسبها تعارض إن دعوتها بيونا.. أليس كذلك حبيبتي؟

- طبعاً.

شعرت بحرج موقفها لأنها لم تعثر على كلمة أخرى تقولها.. ولكن اوسكار ديسموند سارع يقول باسترخاء:

- حسناً.. كانت يونا تعتني بي.

ابتسمت ميريل ثم لفت ذراعها حول كتفي سكرتيرتها:

- إنها كنز حقيقي بالنسبة لي.

فتابع الرجل ساخراً:

- طبعاً نحن لم نتعارف كما يجب.

لم تنسَ وهي تصغي إلى هذا الرجل المعتد بنفسه أنه متزوج. قالت ميريل وكأنها أحست باضطراب سكرتيرتها.

- اذهبي الآن لتقابلي خطيبك يونا.

احست يونا بالراحة!

- شكراً لك... وداعاً سيد ديسموند.

أسرعت إلى غرفة الجلوس التي كانت فيها الخادمة ومدبرة المنزل في آن، تحاولان ترتيب المكان من الفوضى التي عمته.

- وداعاً بلير.

تمكنت أخيراً من العثور على تاكسي أوصلها إلى المقهى الذي تريد. كانت أثناء توجه التاكسي إلى مكانها المنشود تفكر في الدقائق الأخيرة التي مرت. لقد عاملت اوسكار ديسموند كدخيل. ترى هل سيخبر ميريل بقلة أدبها؟.. إن اوسكار ديسموند كما تعلم متزوج إلا أنها لا تذكر أنها قرأت شيئاً عن زوجته، كان اسمه يظهر من وقت إلى آخر في مجلات المدينة الاجتماعية، وقد قرأت مؤخراً أنه في رحلة يقوم بها إلى اوروبا علماً أن اسم زوجته لم يرافق اسمه كثيراً.

كان رايز ينتظر بفارغ الصبر خارج المقهى يسير جيئة وذهاباً على الرصيف محاولاً تدفئة نفسه.

ما إن دخلت حتى نظر بازدراء إلى سروالها الاحمر الضيق وإلى معطفها الجلدي فهو لا يحب أن يرى النساء مرتديات سراويل. فما الحال اذا رأى خطيبته به؟ إن لرايز عقلية متزمتة يضجرها بها في بعض الأحيان، ولو كانت صادقة مع نفسها لقالت إنه مضجر في معظم الأحيان.

صاح دون أن يحييها!

- أتدركين أن الساعة تجاوزت السابعة والنصف؟

ردت بلهجة ساخرة مكبوتة:

- أجل حبيبي... وأنا آسفة.

ـ أعتقد، بالنظر إلى ما ترتدينه، أنك لم تعودي الى الشقة منذ الصباح؟

ـ صحيح... ألم أخبرك أن ميريل ستقيم حفلة بمناسبة نشر كتابها الجديد؟ لقد تأخرت بسبب الحفلة التي انتهت منذ قليل.

ـ يونا أنت لا تتقاضين راتباً لتهتمي بحفلات تلك المرأة.

ـ صحيح رايز.. ولكن بما أنها تحب أن أشارك في تلك الحفلات فأخشى أن أخيب أملها.

ـ وماذا عني؟ ألا يهمك أن تخيبي أملي؟

ـ اوه رايز.. لا تكن سخيفاً. لم أخيب أملك. أنا هنا.. أليس كذلك؟ هيا فلندخل الآن. إنني اتضور جوعاً!

ـ لن تدخل.. أمي تدعونا إلى العشاء، فهي تريد بحث بعض النقاط المتعلقة بزواجنا.

تجاهل رايز تجهم وجه يونا للخبر، فليست يونا والسيدة هنتر على وفاق. والدة رايز أرملة ليس لها ولد سواه لذلك وجدتها متملكة كثيرة الغيرة منها، لأنها لا تريد أن يتزوج ابنها ويتركها وقد عملت جاهدة حتى يكره معظم بنات جنسها.

غير أنه حين اصطدم يوماً بيونا في المترو ناثراً أغراضها في كل مكان، اكتشف أن ما قالته أمه ليس بشيء أمام انجذابه إلى هذه الشقراء الخضراء العينين التي شكرته بمرح، بعد أن لملم لها مشترياتها المتناثرة.

لم يكد يصدق حسن حظه حين التقى بها ثانية في الأمسية التالية في القطار نفسه. عندما سألها أن تقابله ثانية وافقت دون تردد. ولكن.. بعد أسابيع حين اصطحبها الى المنزل للتعرف إلى أمه، وجد أن الأمور لن تكون بالسهولة التي كان يتوقعها. فقد أمضت السيدة هنتر معظم السهرة عابسة عبوساً لم تقو يونا على احتماله.

بعد أن مرّت الأيام وبعدما اكتشفت السيدة هنتر أن رايز لن يتزحزح

عن رأيه، حاولت أن تكون ودوداً قليلاً.. وقد قررت أخيراً، إن كان لا بد من زواج رايز بيونا، ان تستفيد من الامر.. فافترحت أن يعيشا بسعادة معها، فالمنزل الأثري أقدم من أن تعيش فيه امرأة وحدها وهي بذلك تتمكن من الاحتفاظ برايز تحت سقف بيتها.. ولن يختلف الامر كثيراً عن ذي قبل.

عندما أدركت يونا ما ستؤول إليه الحال راحت تقول انها ورايز يرغبان في جمع مبلغ كاف من المال يدفعانه كقسط أول لشراء شقة صغيرة. لكن السيدة هنتر لم تكن ممن يعترف بالهزيمة فرفضت هذا المطلب مما جعل رايز يحار بأمره خاصة وأنه لا يملك القوة الكافية ليواجه أمه أو ليتخذ موقفاً.

تنهدت يونا بعد إمعان في التفكير وقالت:

ـ أوه.. لا بأس هذه المرة إنما أتمنى عليك في المرة القادمة ألا تفاجئني بدعوة كهذه. كنت أتوق شوقاً إلى هذا اليوم لقضاء هذه الامسية منفردين.

تردد قليلاً قبل أن يقول:

ـ لا بأس يونا حبيبتي.. فلن يطول الوقت حتى نصبح معاً إلى الأبد.

ردت مترددة غير واثقة: «أجل!».

فلم ترَ مستقبلهما آنذاك استقراراً عما هو الآن. ما خطبها؟ لماذا تشعر بهذا الحزن الليلة؟ أمرد ذلك إلى زيارة السيدة هنتر المفاجئة؟ طبعاً إذ ماذا سيكون سوى ذلك.

ركبا سيارة رايز الصغيرة القديمة، وانطلقا بها نحو المنزل الواقع في حي كوينز.. فتحت السيدة لهما الباب، فقد كانت دون ريب تترقب قدومهما من النافذة. في تلك اللحظة ارتجفت يونا فقد ارتسمت أمامها صورة عن حياتهما القادمة.. لا.. لا يمكن أن يتم هذا... حتى وإن كان الحب القاسم المشترك بينهما...

ما إن رأت السيدة هنتر سروال يونا حتى صاحت:

- يا إلهي.. أرجو ألا يكون احد الجيران قد رآك داخلة.

كادت يونا تقول لها، إن كان سكان الحي على شاكلتك فعلى الأرجح أنهم جميعاً شاهدوني. ولكن احترامها لرايز منعها من الإجابة وجعلها تدخل الى غرفة الجلوس، لتدفىء يديها بوضعهما فوق المدفأة الكهربائية فرد رايز وكأنه يشرح الامر لأمه:

- لم يتسنّ لها الوقت لتبدل ثيابها.

- ولماذا؟ ألم تتأخر كثيراً؟

تنهد رايز:

- كانت في عملها.

- وهل وقفت في هذا الطقس البارد تنتظرها؟ سيقتلك البرد يوماً.. تذكر كلامي.

اضطرت يونا للرد اخيراً:

- ليس رايز بمصنوع من زجاج...

هزت السيدة كتفيها وتركتهما دقائق حتى تحضر الطعام. عندئذ خلعت يونا معطفها وراحت تعدّ المائدة أما رايز فجلس يشاهد التلفزيون الذي كان يعرض برنامج «العاب واحجيات».

نظرت إليه متنهدة.. انه ليس يرومانسي أبداً. فلم يخطر بباله قط أنه لم يقبّل خطيبته ولم يحدث أن قال لها أنا سعيد برؤيتك. وكيف يفعل ذلك؟ وهو يكاد لا يبرح حضن أمه لحظة.

كان العشاء كالعادة بيضاً مخفوقاً ولحماً مقلياً، لم تكد تشبع يونا حتى أشعلت سيكارة.. إنها لا تدخن كثيراً، ولكنها أحست الليلة بالقلق وأرادت فعل ما يهدىء أعصابها... سحبت نفساً عميقاً من السيكارة ثم زفرته راضية فالحديث الذي يدور كالعادة يتعلق بالعرس وشجونه. وبما أن لا أقارب ليونا فليس لها بين الاربعين مدعوا إلا عشرة أصدقاء.

طُرح موضوع المنزل، فأوضحت السيدة مرة أخرى ان هذا المنزل سيؤول الى رايز بعد وفاتها. وان شراء منزل جديد أمر سخيف فيه اسراف وتبذير ولكن يونا ردت عليها ببرود مقترحة أن تبيعه، فصاحت باستنكار:

- ماذا؟ أبيع منزلي؟ وماذا أفعل لو بعته؟

سيطر فجأة على يونا خوف ما فقد خشيت أن تقترح السيدة هنتر وابنها أن تقيم الوالدة معهما إذا باعت المنزل فسارعت يونا تقول:

- اشتري منزلاً أصغر حجماً أو استأجري شقة. أحسب أن الشقة تناسبك جداً.

احمرّ وجه السيدة هنتر:

- شقة؟ لا يمكنني العيش في شقة!

- ولمَ لا؟

- كيف لك أن تفهمي وأنت من لم يكن لك منزل يوماً. إن المنزل يعني لي أكثر من ثلاثة طوابق عليا أو طابقين سفليين.

احمرّ وجه يونا ذلك أنها ما زالت تشعر بالالم حين يتحدث أحدهم عن نشأتها. علماً أنها تعتبر الميتم الذي ترعرعت فيه مكاناً رائعاً وهي تزوره أحياناً لرؤية الرئيسة غير أنه لم يكن فعلياً منزلاً يقيم فيه أب وأم ونشأتها تلك أمر آخر يحط من قدرها في عين ام رايز التي كما يبدو تعتبر أطفال الميتم مسؤولين عن فقد آبائهم.

احس رايز بالانزعاج من كلام أمه، فوقف فجأة قائلاً:

- حسناً يونا... هل نذهب لقد أوشك الوقت أن يتجاوز العاشرة؟

وقفت يونا ممتنة له:

- اوه... أجل رايز.. هلاّ أعطيتني معطفي؟

بدا هواء الليل في الخارج منعشاً بشكل لا يصدق بعد الجو الخانق المعتم الذي كان داخل منزل آل هنتر، فسحبت نفساً عميقاً تشعر بالراحة للمرة الأولى لأنها في سيارة مكشوفة. فما أروع أن يتلاعب

الهواء البارد بشعرها ليُجلي تفكيرها.

في تلك الأثناء، ودت لو أن رايز لم يكن واقعاً تحت سيطرة أمه فهو على سبيل المثال لا يعارضها مهما قالت علماً أن مرد تصرفه ذاك رغبتُه في إبقاء جو السلام إلا أنه تصرف جبان فلن تكون أمه على هذه الدرجة من الصرامة لو عارضها مرة أو مرتين، بين حين وحين.

هذه مشكلة... فكيف تحلها يا ترى؟ حين أوقف السيارة أمام المبنى الذي يضمّ شقتها التفتت إليه قائلة:

- رايز... دعنا نسوّي هذا الامر حالاً. انا لن أقيم مع امك مهما استنسبت الوضع.

تنهد رايز:

- أعرف هذا يونا.. لكن..

- لا شيء رايز.

فجأة جذبها إليه وهمس:

- أوه يونا... لا أريد إلا أن أعيش معك غير آبه بالمكان!

تركته يعانقها، دون أن تتجاوب معه... فهي في هذه اللحظات مرهقة عاطفياً.. لكنها عادت تحاول أن تجبر نفسها على التجاوب، فتأوه:

- يا إلهي!. لست أدري كيف سأصبر حتى أيلول.

فجذبت نفسها عنه وقالت مؤنبة:

- وماذا ستظن بنا أمك؟

- لا آبه. اللعنة عليها.

وعاد يجذبها إليه ثانية...

* * *

٢ ـ أسئلة بلا جواب

تقع الشقة التي تقيم فيها يونا مع جاين غنفورد في أحد المباني السكنية القابعة في زقاق مقفل في أحد شوارع بروكلين الخلفية وفي هذه الشقة غرفة نوم وغرفة جلوس، ومطبخ، وحمام يقع في نهاية ممر تستخدمانه مع مستؤجرتين أخريين.

نشأت جاين ويونا في ميتم لذلك شغفتا بهذه الشقة التي اعتبرتاها منزلاً حقيقياً. جاءت كلتاهما إلى نيويورك سعياً إلى عمل تمارسانه في مجال الطباعة على الآلة الكاتبة فالتحقتا بأحد المعاهد المسائية لتلقي دروسٍ في هذا المجال وقد عملت جاين في متجر، تعلمت فيه دروساً أخرى تتعلق بترتيب الواجهات والديكور، وهي تعمل حالياً في متجر كبير يقع في شارع برودواي.

كان إيجار الشقة في البداية غالياً بالنسبة لهما إلا انهما في الوقت الحالي تجنيان من المال ما يسد الإيجار وما يؤمن لهما بعض الرفاهية. والفتاتان صديقتان حميمتان، ولكنهما لا تتدخلان في حياة بعضهما بعضاً، فقد علمهما الميتم أن تحترما خصوصيات الناس.

هزت جاين في الصباح التالي يونا توقظها:

- استيقظي يونا.. لقد حملت اليك فنجان القهوة.

لجاين شعر بني مسترسل غير أجعد تطلقه دائماً علماً أنها لا ترتدي الا السراويل والقمصان أو الكنزات.

استوت يونا جالسة فسألتها وهي ما تزال نعسى:

ـ كم الساعة الآن؟

ـ الثامنة.

اشعلت جاين سيكارة فرمشت يونا بعينيها فليس من عادة جاين ان تستيقظ باكراً بل ما يحدث عادة أن يونا تدفعها دفعاً لتخرج من السرير فسألتها وعيناها مشرقتان سعادة:

ـ ألم تستطيعي النوم؟ أم أن هناك أسباباً أخرى دفعتك إلى الاستيقاظ باكراً.

تمطت جاين وابتسمت:

ـ حسناً حبيبتي.. سيرافقني بيرس لأتعرّف إلى أهله وسأقيم عندهم خلال عطلة الأسبوع. إنه لا شك قادم في تمام التّاسعة. لذلك أكاد لا أتمالك نفسي.

أحست يونا بالسرور:

ـ ما أروع هذا الخبر؟

بيرس هاريس هو ابن اخ مدير المتاجر التي تعمل فيها جاين ووالده عضو في مجلس الشيوخ السابق يقطن حالياً مع والدته في منزل ضخم في لونغ ايلند. عملت جاين لديهم ثماني سنوات، إلا ان بيرس لم يهتم بها سوى مؤخراً، مع أنها كانت معجبة به منذ أمد بعيد... وهذا ما اسعد يونا حقاً..

ـ رائع.. اليس كذلك؟ تصوري! سأقابل اهله!

ـ اجل.. وقريباً تتزوجين. إنني احسدك.

ـ ولماذا؟ لديك رايز.

ـ اوه... أعرف، ولكن لدي أيضاً أم رايز وهي المتاعب عينها.

قالت جاين مشفقة:

ـ تبدين متجهمة حقاً هذا الصباح. كنت نائمة حين رجعت ليلة امس.. أحدث ما هو رهيب؟

ـ رهيب؟ اوه لا.. في الواقع.

إنها لا تملك حقاً ما يفسّر مزاجها الكئيب هذا! ولكنها شعرت بأن لأوسكار ديسموند يداً فيه. قالت جاين باهتمام حقيقي:

ـ ما الخطب إذن؟

ابتسمت يونا.

ـ لا شيء.. حقاً إنما اشعر أن هذا اليوم أحد أيام الكآبة.

تسللت من السرير وتمطت، قبل أن تتقدم الى المغسلة لتغسل وجهها بالماء البارد. بعد أن جففت وجهها نظرت بارتياب الى جاين، ثم قالت بتمهل:

ـ جاين؟ أسمعت شيئاً عن شخص اسمه أوسكار ديسموند؟

ـ طبعاً سمعت. أليس له علاقة بدور النشر؟

ـ أجل.. إنه رئيس أحد أهم دور النشر.

ـ هيا.. إذن.. لماذا تسألين هذا السؤال؟ لا شك أن هناك سبباً. أتعرفينه؟

ضحكت يونا:

ـ التقيته بالامس في الحفلة التي أقامتها ميريل. إنه صديقها.. وهو جذاب.

مطت جاين شفتيها:

ـ أنت تدورين حقاً في دوائر راقية.

ـ يبدو أن ميريل تعرفه معرفة جيدة إذ يعاملان بعضهما بعضاً وكأنهما صديقان قديمان فقدا الاتصال منذ زمن بعيد.

ـ همم.. هذا مثير للاهتمام.. أهو متزوج؟

ضحكت يونا:

ـ اجل.. لماذا؟ هل شحبت صورة بيرس في ناظريك؟

ـ بالطبع لا.. لكنني ألاحظ انه أثر فيك أثراً كبيراً... أهو سبب تكدرك؟ ترى أبدا رايز ضعيفاً أمامه؟

أحست يونا بالغضب، ولكنها أجابت باعتدال:

- لا.. أبداً.

يجب ألا تناقش أمراً غريباً كهذا خاصة وأن الموضوع يتعلق بصديق ميريل الذي ربما لن تراه ثانية. هذا عدا عن احساسها بعدم الإخلاص لرايز إذا ما تكلمت على هذا النحو عن اوسكار ديسموند.

اخرجت يونا صديقتها من غرفة النوم لترتدي فستاناً كحلي اللون، حينما دخلت المطبخ وجدت جاين قد أعدت التوست وفنجان شاي لفطورهما.

بعد الفطور تمنت لصديقتها نهاية أسبوع سعيدة، ثم ارتدت معطفها، وتركت الشقة على عجلة من أمرها، ونزلت راكضة تجتاز السلالم وصولاً الى هواء الصباح المنعش. كان يوماً من الايام التي اختبأت فيه الشمس خجولة واعدة بنهار دافيء. تنشقت يونا نفساً عميقاً تحس بأن تكدرها يتلاشى.. فمن قد يحس بالتكدر في وقت يبدو فيه كل شيء جديداً منعشاً خاصة الأزاهير التي بدأ اخضرارها يكسو أشجار الحديقة؟

نقلها الباص إلى شقة ميريل التي ما إن فتحت الباب حتى كانت ساعة الكنيسة تعلن التاسعة. كانت ميريل تجلس أمام طاولتها تقرأ الرسائل، فابتسمت ليونا حين دخلت.

- صباح الخير يونا. أنت دقيقة في مواعيدك.

ضحكت يونا:

- لا أفهم أقولك هذا مديح أم ذمّ؟

- آسفة حبيبتي.. ليس لدينا عمل كثير اليوم.

نهضت ميريل وقصدت المطبخ:

- قهوة لاتين بلير.

ثم التفتت الى يونا:

- ليس علينا إلا أن نرد على بضع رسائل وبعد ذلك سنستقل السيارة للقيام بنزهة في الريف. ستكون النزهة تغييراً لا بأس فيه لنا كلتينا.

وبينما كانتا تحتسيان القهوة قالت ميريل:

- على فكرة.. ما رأيك بأوسكار ديسموند؟

احمّر وجه يونا فجأة:

- لست أدري.. في الواقع.. لم يذكر أمامي في البداية اسمه. وأخشى أنني عاملته بجفاء فقد ظننته مراسلاً يريد أن يحظى بقصة خاصة.

ضحكت ميريل:

- أوه.. لا تقلقي بالك، فأظنه اغتبط لهذا فهو معتاد على من يترقب كل كلمة يتفوّه بها. لذلك تجدينه يحب من يعامله بقسوة أو جفاء.

- قال إنه صديق مقرب لك.

- إنه فعلا مقرب يا فتاتي.. أتعلمين أنه من أقنع والده لينشر أولى قصصي التي لم تكن شهيرة يومذاك، لكنه آمن بأنني كاتبة أعد بمستقبل باهر فأقنع والده. وقد عرفته قبل أن أبدأ الكتابة، لأن والدتي ووالدته كانتا صديقتين. في طفولتنا كنا نلعب معاً مع أنني أكبره بسبع سنوات إلا اننا أمضينا حياة رهيبة.

وضحكت..

- آه.. فهمت.. ولكنه لم يزرك من قبل، اليس كذلك؟

- لا.. كان مسافراً منذ مدة. يبدو أن معظم أعماله تتركز في اوروبا، لذلك لم أره منذ سنتين.

- يبدو صغيراً مع أنه في الأربعين.

- نعم حبيبتي وأنا أوافقك الرأي إذ لا يبدو أنه بلغ هذا العمر وهذا رائع نظراً للظروف.

- أية ظروف؟

- اوه.. المشاكل التي يواجهها مع هيلين.

- هيلين؟ اوه.. أهي زوجته؟

بدت المرارة في صوت ميريل:

ـ صحيح.. للأسف!

أطفأت يونا سيكارتها:

ـ لماذا؟ أهما مطلقان؟

ـ لا.. لا لم يحدث ذلك.. حسناً.. فلنبدأ عملنا.

حملت يونا دفترها وقلمها وهي تفكر في الأسباب التي جعلت ميريل تكره التحدث عن اوسكار وزوجته. إن هناك دون ريب لغزاً ولكن بما أنها تحترم رغبة ميريل في طي الموضوع فقد دفعت بحزم تفكيرها عن آل ديسموند.

تناولتا الغداء في الشقة، ثم خرجتا من المدينة في سيارة ميريل الكاديلاك التي قادتها يونا. عندما دنتا من مقهى ريفي صغير تناولتا الشاي، واستراحتا في حديقته، تجلسان على مقاعد خشبية ريفية بسيطة..

قالت ميريل فجأة:

ـ سأتناول العشاء الليلة مع أوسكار.. أو عليّ أن أقول إنه سيتعشى معي.. لأنه قادم إلى شقتي.

ـ وحدكما.

ـ أجل.. وحدنا.. لماذا؟ أتودين ورايز مشاركتنا وجبتنا فنغدو أربعة؟

ـ أوه.. حقاً.. أنا.. لا نريد التطفل..

أحست يونا بالاحراج فصمتت غير أن ميريل قالت ببساطة:

ـ لن تتطفلا على أحد. كما ان الفكرة عظيمة، فلماذا لم أفكر فيها من قبل؟

لم تشعر يونا من قبل بمثل هذا التوتر، وأنبت نفسها لانها لا تشعر بذلك إلا لأن اسم الرجل ديسموند قد ذكر أمامها.

ـ لا أظن أن رايز يرغب في المجيء.

ـ أوه.. لا تأبهي بذاك الشاب.. أتودين انت المجيء؟

ـ أنا.. اعتقد هذا.

نظرت اليها ميريل ساخرة.

ـ حماستك كبيرة!

فضحكت يونا:

ـ آسفة ميريل.. أحب المجيء طبعاً، ولكنك تعرفين رايز.

ـ أجل.. أعرفه. لماذا لا تتصلين به؟ أظنه يعمل اليوم كالعادة. أخبريه أن أوسكار ديسموند قادم للعشاء وأضمن لك موافقته.

تنهدت يونا:

ـ ربما انت على حق. حسناً.. سأرى إذا كان يمكنني الاتصال به من هذا المكان.

بعد وقت غير طويل، رنّ جرس الهاتف في المكتب فردَّ رايز الذي ما إن عرف أنها المتكلمة حتى راح يتحدث بانزعاج ذلك أنه ما كان يحب ان تتصل به.

ـ ما الأمر.. أنا مشغول جداً يونا.. هل الأمر ملح؟

ـ ليس بالضبط حبيبي.. ولكن ميريل دعتنا الى شقتها لتناول العشاء هذا المساء، ولم أرغب في القبول قبل موافقتك.

لم تظهر الحماسة في صوته وهو يقول:

ـ هكذا إذن..

وصمت.. إنه يطلب منها أن تزور أمه حين يجد الفرصة مؤاتية فلماذا يمتعض منها إذا ما طلبت منه في بعض المناسبات أن يرافقها لزيارة مكان تريده هي؟ قالت له:

ـ ستكون مناسبة ممتعة تغيّر فيها الأجواء الرتيبة.. هل تريد الذهاب؟

تردد رايز قليلاً ثم قال:

ـ وهل ستكون وحيدة في المنزل، أم سيكون هناك بعض الضيوف؟

ـ ضيف واحد فقط هو اوسكار ديسموند.

بدا الذهول في صوته عندما ردّ:

ـ اوسكار ديسموند. حقاً؟

أحست يونا بالغضب، لأن ذكر الاسم، كما ذكرت ميريل، سرى كالسحر في نفسه.

ـ أجل.. حقاً.

ـ في هذه الحالة، أظننا سنذهب إذ تبدو لي الدعوة مثيرة للاهتمام. أهو صديقها؟

ـ أجل.. متى ستصحبني؟

بعد الاتفاق على الوقت ردّت السماعة الى مكانها ثم شكرت عامل المقهى قبل أن تعود الى ميريل التي سألتها بسرعة:

ـ حسناً؟ ما النتيجة؟

ـ ما أن ذكرت له اسم ديسموند، حتى فعل الاسم فعل السحر، لا أدري لماذا لا يحب أحدكما الآخر ميريل.

في المرة الأخيرة التي تعشت فيها يونا ورايز عند ميريل، أمضت الأخيرة الوقت وهي تتجادل مع رايز بشأن الرسم المعاصر فميريل من اتباع الفن الحديث المخلصين، بينما رايز لا يطيق مجرد النظر إليه وتفكيره يناقض تفكير ميريل فهو يظن أن على الإنسان ألا يتمتع بحرية الرأي فقد ورث عن أمه فكرة أن رأيه دائماً صواب وأن رأي معارضه خاطىء. قالت ميريل رداً على سؤال يونا:

ـ ذلك الشاب يزعجني.. كما انه يغار مني، لأنني أستحوذ على معظم أوقاتك. هل جميع الشبان في هذه الأيام واثقون من أنفسهم على هذا النحو؟

ـ الثقة بالنفس آخر ما قد أطلقه على رايز من صفة فهو يسمح لأمه ان تدوسه وتتجاوزه وهذا ما يشملني أيضاً.. إنه أمر يثير السخط!

ـ فهمت الآن الأسباب التي جعلته هكذا. هو في منزله مكبوت

تسيطر عليه امه، ومعك منطلق يحاول تنفيس سيطرته عليك، ليبرهن لنفسه أنه ليس فأراً..

ضحكت يونا:

ـ المحللة النفسية.. الآنسة ميريل بولتون!

ضحكت ميريل على دعابة يونا:

ـ حسناً.. حسناً.. اهزئي بي ما شاء لك ذلك غير أنني على حق.. ماذا حدث لوالده؟

ـ مات منذ سنوات.

ـ ربما مات هماً من شدة سيطرة زوجته عليه. فقولك يظهر تلك المرأة طاغية!

تنهدت يونا:

ـ لقد أخطأت أنا حين تركتها تلقي الأوامر جزافاً، وقد أخطأ رايز لأنه سمح لها بهذه السيطرة. فبعد موت ابيه، راحت تستحوذ عليه اكثر فأكثر، حتى آلت الأمور إلى ما هي عليه الآن. أعتقد أنها بحاجة إلى كتة تملك القوة والجبروت نفسيهما لتستطيع الرد عليها ولتحول بينها وبين أن تنفذ إرادتها.

قطبت ميريل:

ـ هذه ملاحظة مشكوك فيها.. فهل أفهم أنك تشكين في أنك قد تصبحين يوماً كنتها؟

احمر وجه يونا:

ـ اوه.. لا! لا! ولكنني احياناً أودّ لو أكون كما وصفت منذ قليل.

غير أنها في أعماقها راحت تقنع نفسها بأن حبها لرايز هو المهم وما أن يتزوجا حتى تحس بأن كل شيء اختلف عما كان عليه. وحينما يستقران في منزل خاص بهما، أو حينما يرزقان أطفالاً ستجد أن مخاوفها كلها لم تكن غير هواجس.

ارتدت ذلك المساء بعناية فستاناً حريرياً أسود التصق بثنايا جسدها النحيل المتناسق، كاشفاً عن خصر نحيل ونحافة ممشوقة، ووضعت فوقه معطفاً أحمر قاتماً. انتهت من ارتدائه في السابعة والنصف تماماً.

بدا رايز كذلك أنيقاً في سترته ولكنها تساءلت عما اذا كان قد أخبر أمه بهذا الموعد طالباً منها إذناً.. وقال لها بعدما أبدى إعجابه بمظهرها:

ـ أتطلع إلى هذه السهرة، فديسموند رجل مهم ذا نفوذ. قد يكلفنا بعمل ما.

حدقت فيه مذهولة:

ـ وكيف ذلك؟

ـ إن له مصالح موزعة في جميع أنحاء العالم وقد ذكر شريكي في المكتب أن لقائي به فرصة..

شهقت يونا.. فليستر شريك رايز في مكتب المحاماة، رجل تكرهه وتحتقره لأنه رجل متزوج يقضي معظم أوقاته في المرابع الليلية مصطحباً نساء مختلفات أمام عيني زوجته، غير آبه بأولاده الثلاثة الذين يحتاجون الى راحة في البيت ليستطيعوا تحصيل علومهم. وقد حدث في المناسبات النادرة التي التقى فيها بيونا أن عاملها وكأنها إحدى النساء اللواتي يعرفهن، وما زادها رعباً، أن رايز لم يفعل شيئاً لمنعه من ازعاجها..

صاحت به بحرارة:

ـ إذا كنت تعتقد أنك ستمضي هذه الأمسية في حديث يتعلق بالعمل فقد أخطأت. لقد دعتنا ميريل، ويجب أن تتذكر هذا جيداً لتستريح المرأة، لن أسمح لك بزج موضوع العمل في الحديث.. يا رب العالمين، اوسكار ديسموند لن يهتم بك وبليستر..

انتفض رايز حين سمع كلماتها هذه.

ـ هاي يونا.. لا تركبي اعلى ما في خيلك يا فتاتي.. أنا لا أفكر

الا في مستقبلنا.

زررت معطفها وهي تصيح به:

ـ صحيح؟ صحيح؟ على كل الاحوال تذكر ما قلته لك وحاول ان تكون ودوداً مع ميريل.. فهي لطيفة وأنا مولعة بها ولعاً شديداً.

ـ حسناً.. حسناً.. يونا.. بُلِّغت الرسالة.. غير أنني لا أفهم سبب اعتقادك بأنني سأقدم على قول ما هو غير مناسب. فأنا واثق متعقل متحفظ كأي إنسان آخر.

جعلتها كلماته تبتسم فودت لو يكون صحيحاً ما قاله. حين وصلا إلى شقة ميريل قبل الثامنة بقليل أدخلتهما بلير إلى الردهة التي خلعا فيها معطفيهما قبل أن يتوجها الى غرفة الجلوس الكبيرة.

تمتد هذه الغرفة إلى آخر الشقة وهي مقسومة الى قسمين بواسطة واجهة معروض عليها الكتب والتحف الصغيرة. أحد هذين القسمين مستخدم كغرفة جلوس والآخر كغرفة طعام وفي كلا القسمين اثاث ليس بالحديث العصري أو القديم الأثري ذلك أن ميريل لا تهتم كثيراً بالتحف، إلا أن هذا لم يمنع من وجود قطع أثرية رائعة كانت بعيدة عن الطاولة البسيطة وعن الستيريو الحديث.

كان اوسكار ديسموند يجلس على اريكة منخفضة قرب موقد يضفي على بشرته السمراء اسمراراً شديداً كان يميل الى الامام يمعن النظر الى شيء ما، وبدا مستأنساً وكأنه في بيته.

ما إن رآهما حتى هبّ واقفاً يبتسم مرحباً فأحست يونا أن أعصابها توترت لمجرد رؤيته وأن عمودها الفقري اقشعر بطريقة غير عادية... وتعالى الاحمرار الى خديها، فشكرت ربها لأن عيني رايز لم تكونا منصبتين عليها حينئذ. فقد كان يتقدّم من الرجل كالمسحور:

ـ أنت دون شك السيد ديسموند.. اسمي رايز هنتر سيدي.. ما أشد فرحتي بمقابلتك.

أحست يونا أنها تهمل واجباتها، فتقدمت بسرعة لتنضم اليهما

وتقوم بالتعارف.. عندما شعرت بأن أوسكار غير مكترث بها انزعجت واضطربت.

قال اوسكار بعد جلوسهم.

- ميريل مشغولة بتحضير العشاء في المطبخ.. فهل لي أن اقدم لكما شيئاً ما؟ ماذا تحبين.. يونا؟

- عصير الفاكهة.. شكراً لك.

- وأنت سيد هنتر؟

عض رايز شفته متردداً:

- ربما.. الشيء ذاته.. سيدي.

رفع اوسكار حاجبيه القاتمين ثم توجه الى طاولة وضع عليها العصير فنظرت يونا الى رايز، الذي هز كتفيه استسلاماً.

بعد قليل رجع اوسكار حاملاً الكوبين:

- عرفت انكما خطيبان. متى تنويان الزواج؟

رد رايز بسرعة:

- في ايلول.. نحن ندّخر المال لشراء منزل.

نظرت اليه يونا متعجبة.. إذن سيكون لهما منزلاً خاصاً بهما. لكن هل أخبر أمه بقراره هذا؟ لا هذا غير معقول فهو دون ريب ما زال يتجنب تصرفاتها المسيطرة. وقال اوسكار:

- عظيم جداً. ثمة عمران ناشط في ضواحي المدينة.. لقد لاحظت تغييرات كبيرة منذ عودتي.

سأله رايز:

- أكنت مسافراً؟

- أجل. لقد عدت هذا الأسبوع.

- حقاً وأين كنت؟

نظرت يونا الى باب المطبخ مترددة، أتحتج بشيء للدخول الى المطبخ أم تبقى هنا مع رايز وأوسكار الذي طغى وجوده على أعصابها

حتى باتت غير قادرة على إشاحة بصرها عن نظرته. لم تمض لحظة حتى ظهرت ميريل من المطبخ، وكأنها تستجيب لنداء يونا الخفي الصامت.

- مرحباً.. كيف حالك رايز؟ أرى أنكما على خير حال.. جيد.. عرفت أن اوسكار سيعتني بكما.

كان الرجلان قد هبا واقفين لدى دخولها ثم عادا الى الجلوس بعد أن جلست قرب يونا، ولكن اوسكار سرعان ما هب يقف من جديد:

- اعتقد أن عليّ أن أعرض عليك شراباً.

- هذا صحيح حبيبي سأقبل منك البرتقال.

أشعلت المرأتان السكائر ثم عرض أوسكار سيكاراً على رايز فلمّا قبله أحست يونا بدغدغات تبعثها ضحكة تكاد تنفجر في داخلها. فرايز، الذي لا يدخن ابداً لن يستطيع إشعال السيكار الآن! ولكنه امام دهشتها ترك اوسكار يشعله له، ثم تراجع الى الوراء يسعل بقوة.

أشاحت يونا بصرها عنه ونظرت الى ميريل لتمنع نفسها من الضحك. أما أوسكار فاستند إلى الأريكة والتسلية واضحة على وجهه، فاحست يونا بالانزعاج منه.. أكان يعلم أن رايز غير خبير بالتدخين؟ أقالت له ميريل إنه ممن لم يجرّب التدخين قط؟ إذا كان يعرف ذلك، فقد تعمد إثارته.. ولكن ميريل قالت لاوسكار دون انتباه الى ما يجري:

- كيف حال مايك هذه الايام؟

- إنه بخير ينتظر بشوق رؤيتك. قلت له انني سأحضره ليشاطرك الغداء يوماً في الاسبوع المقبل. سأرسله الى ماري بعد بضعة أيام ليمضي عندها أسبوعاً أو ما يزيد. أعرف أنه لا يحب الذهاب، ولكن سيفيده الاختلاط بأولاد في مثل عمره. فقد نضج قبل أوانه من جرّاء مكوثه الدائم مع من يكبره عمراً.

أصغت يونا الى الحديث باهتمام.. من هو مايك؟

ما هي إلا هنيهة حتى أجابت ميريل عنه موضّحة:

ـ مايك هو ابن اوسكار. إنه في الخامسة عشرة، وهو يقيم هنا معظم وقته، لأنه لا يصحبه معه في رحلاته، اليس كذلك اوسكار؟

ـ هذا صحيح لسوء الحظ. أحس أنني أهمله احياناً. ولكن لا حلّ آخر، فلو بقينا معاً لانزعج الواحد منا من الآخر.

علا وجه يونا الهلع وهي تصيح:

ـ ما هذا القول؟ يا للولد المسكين!

نظر اوسكار اليها ساخراً:

ـ ليس مايك بمسكين أبداً.. صدقيني.. أليس كذلك ميريل؟

ـ لا.. أعتقد هذا.. ولكنني أفهم شعور يونا التي لم تعرف يوماً الحب الابوي لأنها ترعرعت في ميتم. إنها عندما سمعتك تتحدث على هذا النحو عن مايك تصورت أنك تعتبره عثرة في دربك.

تنهد اوسكار وسحب نفساً قوياً من سيكاره:

ـ لنقل إنني ومايك متشابهان إلى درجة عدم القدرة على الاتفاق معاً.. فلكل منا رأيه وطريقته في الحياة.

فعلقت ميريل على كلامه:

ـ غير أن الحياة التي نحياها لا تناسب ولداً في مثل سنه.

بدا رايز الذي لم يشارك في الحديث مذهولاً من طريقة ميريل في الكلام.. فسارعت يونا لتقول:

ـ هل الوجبة جاهزة ميريل؟ أنا أتضور جوعاً!

كانت الوجبة لذيذة. وقد حدث أن رايز ما أن تناولها حتى استرد لونه بعد الشحوب الذي أصيب به من جرّاء تدخين السيكار.. بعد انتهاء العشاء عادوا الى المقاعد الوثيرة، حيث راح الجميع إلا رايز يرتشفون القهوة الساخنة.

بدأت ميريل تسأل اوسكار عن رحلاته التي راح يقصها عليهم وهم يصغون بسرور فقد كان محدثاً رائعاً. جلست يونا تصغي إليه وكأن

صوته العميق نوّمها مغناطيسياً علماً أنها تجنبت النظر اليه قدر المستطاع ولكن عينيها كانتا تتجهان اليه، لتتأمل سر خطوط فكه القوية، وغزارة شعره الكثيف.

لم يكن مظهره وحده هو الذي جذب يونا اليه. فقد شاهدت عدداً لا بأس به من الرجال الوسيمين دون أن تثير فيها رؤيتهم أقل تأثير. كان ما يجذبها اليه شيئاً فيه وحشية بدائية كانت بالنسبة لها ادنى من مستوى الإنسان الحديث، وقد فهمت من تعليقات ميريل انه ليس قديساً رغم زواجه وهذه المعرفة أضافت عاملاً جديداً لانجذابها إليه.

أدركت فجأة إلى أين تقودها مخيلتها، فكبحتها فوراً تردها الى طبيعتها.. لماذا لا تتذكر وهي تفكر فيه أنها مخطوبة؟

أحست أنها تتصرف وتشعر وكأنها فتاة مراهقة تهوى ناظر المدرسة.

كانت الساعة تقارب الحادية عشرة حين قال رايز:

ـ علينا على ما أعتقد الذهاب يونا. لقد تأخر الوقت.

قالت ميريل:

ـ إنها الحادية عشرة فقط يا رايز.. لكن إذا كان يجب أن تذهبا، فلا مانع عندي.

وقف اوسكار:

ـ هل أقلكما الى مكان ما؟

رد رايز:

ـ شكراً لك معي سيارة. وشكراً لك ميريل، لقد تمتعت بالسهرة كثيراً.

فوقفت ميريل أيضاً:

ـ ما أسعدني بقولك هذا! يجب ان نكرر السهرة ثانية يونا هه؟

هزت يونا رأسها تاركة لرايز فرصة وضع المعطف على كتفيها.

ـ أجل.. يجب هذا.. حديث السيد ديسموند رائع.

ردت ميريل وهي تنظر الى أوسكار بمرح:

ـ أجل.. عليه كتابة قصة.. ما رأيك بهذا يا أوسكار؟

ـ حسناً قد أفعل.. اذا أعرتني سكرتيرتك لتطبعها لي.

ونظر الى يونا فرأى اللون الاحمر قد تصاعد الى وجهها.. ولاحظ ذلك رايز أيضاً فجذبها الى الباب ليبعدها عن الإحراج.

ـ يجب أن نذهب.. عمت مساء سيد ديسموند، عمت مساء ميريل.

كانت السيارة خارجاً شديدة البرودة، مما جعل يونا ترتجف، وتقول:

ـ تجعلك التدفئة المركزية معرضاً لخطر الطبيعة.. اسرع بنا الى المنزل رايز.

أدخلها رايز السيارة ثم دار حول السيارة وصولاً الى مقعد السائق الذي ما ان استوى اليه حتى شغله ولكن المحرك أمام خيبة أمل يونا لم يشتغل فتمتم رايز.

ـ اوه.. يا إلهي.. كيف يحدث هذا في ليلة باردة كهذه! لا بد أن البرودة امتصت قوة البطارية.

ضحكت يونا بعد أن فكرت في الجانب المضحك من الموقف:

ـ حسناً.. أتدفعها أنت أم أدفعها أنا؟

صاح وهو لا يرى ما يضحك في هذه الورطة:

ـ لا تكوني سخيفة!

ـ حسناً حسناً.. حاولت إدخال المرح الى نفسك.

وصمتت تتأمل ما يفعله وهو يحاول مجدداً، ثم قالت بعد قليل:

ـ هل أشغل المحرك بينما تدفعها قليلاً؟

ـ لا!

كان رايز يرغي ويزبد، فتنهدت يونا.. أكان يجب أن يحدث هذا؟ إنها واثقة الآن أنه سيضع اللوم على ميريل بطريقة ما.. وسمعته يتمتم:

ـ لولا مكوثنا وقتاً طويلاً في الداخل لما تجمدت السيارة.

وتنهدت ثانية.. ها قد بدأ النغمة القديمة ذاتها فهو كعادته يرمي اللوم على الآخرين عوضاً عن الاعتراف بالسبب الحقيقي الذي جعل السيّارة تتعطّل.

انفتحت فجأة أبواب الشقة، وخرج منها طيف طويل يرتدي معطفاً من الفرو.. إنه اوسكار ديسموند! تأوهت يونا داخلياً لانها تعرف أنَّ رايز يكره ان يضبط في موقف محرج.

غير أن أوسكار أحنى رأسه لهما ثم تابع سيره الى سيارة بويك رمادية متوقفة امامهما. فاستقام رايز لينظر الى يونا ويقول:

ـ هل أطلب منه أن يقلّك؟

ـ لا.. بالطبع لا.. سأنتظر حتى تقلّني أنت.

بدت الراحة على وجه رايز:

ـ آسف لأنني انفجرت غضباً في وجهك فطبعي بغيض.

ابتسمت له:

ـ لا تكن سخيفاً.. اسرع الآن لنذهب من هنا.

فتح أوسكار ديسموند صندوق سيارته وأخرج منه حبلاً بلاستيكياً، ثم تقدم من رايز قائلاً:

ـ أيفيد إن سحبت السيارة؟

رفع رايز رأسه رادًّا:

ـ نعم يفيد.. إنها البطارية على ما أعتقد فهي في منتصف عمرها.

ـ حسناً.. اربط الحبل بسيارتك وسأثبته بسيارتي. زمّر حين تصبح جاهزاً.. حسناً؟

ـ حسناً!

أسرع رايز فربط السيارة بالحبل بينما ربط أوسكار سيارته من الجهة الاخرى، ثم هز رأسه بايجاز الى يونا وعاد الى سيارته ليشغل محركها.

لم يقتضي الأمر إلا بضع مئات من الأمتار قبل أن يدور محرك سيارة رايز فزمّر مبلّغاً اوسكار بهذا، فتوقفت السيارتان وفك الحبل. بعد ذلك رفع اوسكار يده مودعاً.

قال رايز بحرارة:

ـ شاب طيب! ما من رجل في مثل مركزه يقدّم مساعدة كهذه.

ـ صحيح هذا.

فهز رايز رأسه واتجه قاصداً شقة يونا. بعد ان اتفقت معه على قضاء اليوم التالي معاً، تركته لتدخل شقتها التي بدت لها موحشة الليلة بغياب جاين.. حضرت لنفسها كوب كاكاو، حملته الى غرفة النوم لتشربه أثناء تبديل ملابسها. ما إن دخلت الفراش حتى جافاها النوم فقد بدت لها أفكارها مشوشة تحرمها من الراحة، فتقلبت قلقة ثم أشعلت النور من جديد وراحت تقرأ كتاباً جديداً.

إلا أنها أثناء القراءة كانت أفكارها تنجرف بعيداً الى سؤال لم يبرح ذهنها. أين زوجة أوسكار ديسموند؟ إنه لم يذكرها خلال السهرة ولم تذكرها ميريل أيضاً. كان كل ما ذكرته ميريل أن الحياة التي يحياها أوسكار لا تناسب ولده، وقد يعني هذا شيئاً واحداً بالتأكيد! والامر محيّر.

أحست فجأة بالغضب.. فليس من عادتها ان تقلّب النظر في شؤون أحد، خاصة شؤون رجل ليس له أهمية في حياتها.

* * *

٣ ـ قصر الشمس

مر الأسبوع التالي دون أحداث تذكر حتى يوم الجمعة الذي عادت فيه جاين من لونغ ايلند مفعمة إثارة.. فأهل بيرس أحبوها وجعلوها تشعر وكأنها في منزلها.

أحست يونا بالحسد قليلاً، فليت أم رايز دافئة ومحبة. ولكنها كانت مسرورة من أجل جاين، التي كانت تخشى دائماً ألا يحبها النّاس.

حين وصلت يونا ذلك الصباح إلى شقة ميريل، لم تجدها على طاولتها.. فاستغربت ذلك لأن ربة عملها معتادة على الاهتمام بالرسائل المرسلة إليها كل صباح.

ـ لقد وصلت.

تناهى إليها صوت ميريل قبل أن تدنو من جهاز التدفئة.

لم تكن قد طبعت هذا الاسبوع إلا بعض الرسائل لأن ميريل لم تشرع بكتابة قصة جديدة بل راحت تمضي الوقت برفقة يونا في الريف. وكانت يونا قد استلمت قيادة السيارة في بعض الأحيان أما في الأحيان الأخرى فكان يتولى القيادة زوج بلير وهو رجل له وظيفة ثانية إلا أنه كان يقود سيارة ميريل حين تطلب منه ذلك.

في تلك اللحظة خرجت ميريل من غرفة النوم.

ـ مرحباً عزيزتي... انا مسرورة لأنك بكّرت في المجيء فأمامنا عمل كبير اليوم. ما رأيك برحلة الى اوروبا؟ الى روما بالتحديد.

- روما؟

- أجل.. نقوم بها معاً.

- متى؟

- حسناً حبيبتي.. نقوم بها بعد ظهر اليوم حيث نمضي هناك عطلة الأسبوع على أن نعود يوم الاثنين.

لم تستطع يونا استيعاب ما تسمع.. فابتسمت ميريل:

- أتعلمين انني تعشيت مع أوسكار وابنه مايك ليلة امس؟

- اجل.

- حسناً.. سيسافر مايك زائراً عمته ماري في عطلة الأسبوع. ماري متزوجة بفايكونت ايطالي.. ولديها قصر في توسكانيا. وبما أن من المحتمل ألا يقدر مايك على العناية بنفسه هناك فقد طلب مني مرافقته.

- لماذا؟

- حسناً.. لقد وجهت إليه تهديدات بالخطف... فلرجل مهم كأوسكار أعداء كثر. ألا توافقينني الرأي؟

- لكن.. أليس لديه حارس شخصي؟

- لا.. ولا أحسبني أرى أن عليه أن يعين حارساً فأوسكار طريدة قاسية. وليس هنا الآن إلا مايك. فما رأيك؟

تنهدت يونا:

- لا ادري ما أقول.

- لماذا؟ ألا تجدين هذه الرحلة مثيرة؟

- طبعاً أجدها مثيرة.. ولكن.. حسناً.. رايز يتوقع أن أمضي عطلتي الأسبوعية معه.. أعلم أنه أحياناً يعمل نهار السبت إلا أن ذلك لا يشمل الأحد..

هزت ميريل كتفيها بنفاذ صبر:

- إنه يوم واحد يونا. فكري في الأمر بينما أقوم بمساعدة بلير في

توضيب الثياب.. وحين أعود بلغيني قرارك.. القهوة جاهزة وساخنة ولذيذة.. صبي فنجاناً فلن أتأخر..

صبت يونا فنجان قهوة، ثم انهارت على مقعد منخفض... إنها فرصة سانحة للتعرّف الى ابن أوسكار ديسموند اخيراً. جعلت هذه الفكرة نبضاتها تتسارع ففي الأمر إغراء شديد وهذا ما تعرفه ميريل جيداً.

عضت يونا على شفتها بقوة.. ماذا ستفعل برايز الذي لا يعطل إلا أيام الآحاد. ولكنها أمضت الأحد الماضي مع أمه وهي لن تطيق صبراً على ذلك مرة أخرى فوالدته لا تجد في تصرفات يونا إلا عيوباً أما رايز فلا يقوم إلا بالعناية بحديقة المنزل الصغيرة، وهو بالتأكيد لن يعترض إن غابت يوماً واحداً. حين عادت ميريل.. قالت يونا:

- أود أن أرافقك إنما ماذا عن الحجز وما شابه ذلك؟!

ابتسمت ميريل:

- لقد اهتممت بكل شيء.. أتمها اوسكار ليلة أمس.

تمتمت يونا ساخطة:

- أكنت موقنة من موافقتي؟

- أجل حبيبتي. أعتقد أنه عليك رؤية العالم ما دمت قادرة على ذلك فمتى تزوجت حُرمت من هذه الفرصة لأنني أتصور أن ذلك الشاب سيربطك بحفنة من الاولاد، بينما ينطلق هو متمتعاً بحياته.

صاحت يونا بعجز:

- ميريل.. انت لا تشجعينني على الزواج أبداً! لماذا لا يصحبه والده؟

- اوه.. إنه يكره أن يقوم بدور مربية الاطفال.

- مربية والشاب في الخامسة عشرة من عمره؟ يا الله! إنه ليس بحاجة الى مربية!

- أعرف هذا، ولكن اوسكار مشغول.

تنهدت يونا:

- أعذار... مجرد أعذار. يبدو لي أن صديقك لا يحمل عبء أبوته على محمل الجد.

- أنت مخطئة يونا ذلك أن الوالد والولد صديقان حميمان كل ما في الأمر أنه يرفض إزعاج نفسه باشياء تافهة كالتي يتمتع بها بعض الرجال. حين تعرفينه جيداً ستدركين هذا بنفسك.

- لا أحسبني سأتعرّف إليه جيداً.

غيرت ميريل الموضوع بحزم وقالت:

- حسناً.. عليك الاتصال بخطيبك لتعلميه بسفرك.

- يا الهي.. لا أعتقد هذا.. فهو لا يحب أن أتصل به في عمله.

- ولماذا بالله عليك؟ انه شريك في المؤسسة، اليس كذلك؟

- أجل.. ولكنه يحب أن تبقى حياته العملية بعيداً عن حياته الخاصة. يقول إنني أفسد عليه تركيزه حين يكون مشغولاً.

رفعت ميريل عينيها نحو السماء.

- حسناً.. انهي الأمر معه.. فليس لدينا وقت كثير، وعليك العودة إلى شقتك لتوضبي حقيبتك، فقد تحتاجين إلى ملابس سهرة.

- ولماذا ثياب السهرة؟

- سنصل الليلة الى روما حيث سنبيت في شقة أوسكار.. وفي الصباح نذهب مع مايك بالسيارة إلى توسكانيا لنبيت فيها ليلتنا ثم نعود منها الى روما في الصباح التالي. وقد نمضي يوم الاحد في مشاهدة معالم روما، أما ليلة الأحد فنبيتها في الشقة ثانية، لنعود يوم الاثنين صباحاً.

- اوه! ولكنني لا أستطيع قضاء الليل في ذلك القصر.. اعني انني لا اعرف اولئك الناس، الذين قد لا يتوقعون وجودي.

- بلى، فقد اتصل اوسكار بشقيقته مساء الامس، وقال لها إنك سترافقينني على الارجح، وتكلمت معها فيما بعد فكانت متحمسة

لزيارتنا.. ستحبين ماري بالتأكيد، انها في الرابعة والثلاثين من عمرها، فقد تزوجت وهي في السابعة عشرة، وأنجبت ثلاثة أولاد رائعين. وزوجها الفايكونت، محبوب جداً.

أحست يونا بالخوف... فالسفر الى ايطاليا أمر، وقضاء ليلة في قصر ايطالي قديم، مع فايكونت وعائلته امر آخر. فكيف ستتكلم معهم أو كيف تتصرف؟ تمتمت بقلق:

- اوه.. ميريل، أظنني أوشك على التراجع.. ظننت اننا سنوصل الولد إلى روما فقط، ولم أتصور اننا سنقضي ليلة مع شقيقة السيد ديسموند.

- أعرف هذا.. وماذا يهم؟ إن ماري لطيفة ستحبينها وهي إلى ذلك ليست متكبرة ابداً.

- لكن الفايكونت.. لا اعرف كيف سأخاطبه.

- أعتقد أن روماندو سيطلب منك مناداته باسمه الاول.. والآن هيا.. قومي بتلك المخابرة. ثم توجهي إلى شقتك وحضّري اغراضك.

أحست يونا أن قوة ما تحملها غير مفسحة لها مجالاً للهرب.. عندما أجرت الاتصال لم تجد رايز متوتراً.. فقالت بحذر:

- حبيبي.. أتمانع لو قضيت نهاية الأسبوع مع ميريل؟

تلاشى مرح رايز ورد بانزعاج:

- وإلى أين المسير يا ترى؟

- الى روما.. بما أن عليها أن توصل شيئاً إلى ذلك البلد فقد قررت البقاء فيها عطلة هذا الأسبوع على أن أرافقها فقد تحتاجني لعمل ما.

رد ببرود:

- إن في الأمر ما هو مريب. فلماذا تذهبين معها بالضبط؟

تنهدت يونا:

- أوه رايز، ألا تصدقني؟ ميريل ستوصل.. شخصاً إلى روما.

- لا شيئاً؟

- لا.. ستوصل مايك ديسموند.

- هذا ما كنت أفكر فيه.. وهل سيرافقكما اوسكار ديسموند؟

- بالطبع لا.. لن يقوم بالرحلة إلا ميريل والصبي وأنا. اوه يا حبيبي.. أنت تعرف أنه لم يكن لديك في الأسبوع الماضي وقت لي. أترفض أن أحظى بوقت فيه متعة وتسلية بدلاً من إمضائه مع أمك؟

- أمي! كنت أعلم انك ستحشرينها في هذا.. لماذا اتصلت بي يونا...؟ لقد اتخذت قرارك مسبقاً أليس كذلك؟ لقد قررت الذهاب. وها أنت تعلمينني به فقط.

شدت يونا على قبضتيها، رايز على حق، بالطبع.. فهي تبدو حقاً بتصرفها هذا أنانية لكن التجربة تبدو مثيرة، والربيع في إيطاليا جميل.

سمعت رايز يتكلم ثانية فأعادت تفكيرها إليه:

- ... ومتى أتوقع رؤيتك مجدداً؟ الاثنين؟

- طبعاً. سنعود صباح الاثنين. وعندما نلتقي في المساء سأقص عليك أخبار الرحلة.

- حسن جداً، لكن لا تعتادي على هذا.

أحست كأنها مسجون أذن له بالخروج من سجنه لقضاء نهاية الاسبوع فلم تستطع إلا إظهار الفرح والاثارة في صوتها:

- شكراً لك حبيبي.. سأكون طيبة معك.

سمعته يتمتم حانقاً وهو يقفل الخط، فوضعت السماعة أيضاً.

قالت ميريل:

- سوّي الأمر اذن.

- اجل سوّي الامر. لكنني أحس بالذنب ميريل ولا أستطيع الحؤول دونه.

- سيزول.. والآن استقلي سيارة أجرة وتوجهي إلى شقتك لتوضبي أغراضك لكن لا تتأخري إذ علينا تناول الغداء قبل التوجه إلى المطار.

سيتناول الغداء برفقتنا مايك.

وضبت يونا حقيبتها بسرعة، ثم عادت الى التاكسي المنتظر، لتذهب الى المخزن الذي تعمل جاين فيه، فاتصلت بها في الكافتيريا التي كانت فيها تستريح ثم طلبت منها القدوم لتراها.

عندما جاءت جاين وعلمت بأمر الرحلة شهقت.

- انها الجنة! نهاية اسبوع في إيطاليا.. يبدو الأمر رائعاً لي! إنها رحلة رائعة سترفع معنوياتك. لقد بدوت هذا الاسبوع ضجرة الى حد كبير حتى قلقت عليك.

- أما زلت قلقة الآن؟ لا حاجة إلى ذلك فأنا على ما يرام.

- أنت الآن تبدين مختلفة لأنني لا أحس بمللك... ماذا قال رايز؟

- اوه.. لم يقل إلا ما هو معتاد منه. لم يكن مسروراً، غير أنني أفهم شعوره لأنني كنت سأنزعج لو سافر بدوني إلى مكان ما.

شبكت جاين يديها وسألت:

- هل سيكون أوسكار ديسموند معكما؟

- يا إلهي! لا! هذا سبب سفرنا. فلو كان مسافراً لما اقتضى الأمر سفرنا.

- حسناً تمتعي بوقتك.

- شكراً، فأنا في الواقع كتلة أعصاب متوترة.. كيف تخاطبين فايكونت؟

- لا تكوني سخيفة. ستتدبرين أمرك.. أما ميريل بولتون فستجعلك تقضين وقتاً رائعاً.. تذكري السنة الماضية حين سافرتما الى اسبانيا..

نظرت يونا الى ساعتها:

- يا إلهي.. يجب أن أذهب.. الساعة تجاوزت الحادية عشرة.. أراك يوم الاثنين.

ابتسمت لها جاين مودعة، ثم اسرعت يونا ونادت سيارة أجرة أخرى... ما إن دخلت إلى شقة ميريل حتى شاهدت مايك ديسموند

الذي كان يمكن أن تتعرف إليه أينما كان. . فهو يشبه أباه كل الشبه، فله التقاسيم السمراء ذاتها، والطلعة الجميلة الرشيقة نفسها وهو. . يبدو في الثامنة عشرة. لقد توقعت أن ترى شاب يافعاً شاحباً ضعيفاً، مهملاً، يرتدي كأترابه المراهقين الجينز والكنزة ولكنها كانت مخطئة أشد الخطأ. . فمايك ديسموند شاب قوي، واثق من نفسه، نظر إليها ممعناً النظر عندما كانت تخلع المعطف.

لم يكن بطول أبيه، إلا أنه كان أطول من يونا رغم حذائها العالي الكعبين. . تقدمت منه ببطء:

ـ مايك؟

ـ أجل. . وأنت يونا دون شك. أخبرني والدي أنك ذاهبة معنا. . . أخبريني. . أتعرفين والدي جيداً؟

احمرّ وجه يونا:

ـ ليس كثيراً. . لماذا؟ ألم يقل لك إنني سكرتيرة ميريل؟

ـ بلى. . قال لي هذا. ولكنني كنت أتساءل. . .

وانزلقت نظرته عنها الى البعيد، فأحست يونا بجرح مشاعرها. . هل يعني ما تفكر فيه؟ بالتأكيد لا ! اوه اوه يا الله! فيمَ زججت نفسي؟

أحست بالرّاحة عندما دخلت ميريل الغرفة، مبتسمة مرحاً:

ـ اوه. . هذا انت يونا. هل تعرفت إلى مايك؟

ابتلعت يونا ريقها بصعوبة:

ـ كنا نتعارف. اهناك ما تريدين أن أفعله؟

ـ لا. . لا أظن هذا. . حسناً مايك، امشتاق أنت الى عمتك؟

هز مايك رأسه ببرود:

ـ ليس بشكل خاص، فأولادها عصابة مزعجة.

قطبت ميريل جبينها.

ـ ولكن انطوني يصغرك بسنة واحدة، وعليكما أن تكونا صديقين. اما ايلينا فهي في مثل عمرك. أليس كذلك؟

ـ اوه. . طبعاً. . ولكنها لا تقوم إلا بالسباحة في البحيرة.

ـ وما هو المثير هنا في المدينة؟ لست كبيراً حتى تذهب الى النوادي الليلية. أم أن والدك عرّفك إلى هذا الفن؟

ضحك مايك، ووجدت يونا نفسها تضحك كذلك، فتعابير وجه ميريل كانت مضحكة:

ـ لا. . أنا لا أذهب الى النوادي الليلة بل إلى الكباريهات فقط.

ضحكت ميريل لمزاحه وقالت:

ـ حسناً مايك، أنا آسفة. إنما رجاءً احظَ بوقت ممتع في توسكانيا، فعمتك تبذل قصارى جهدها لترضيك.

ـ أعرف السبب. فأنا أشبه والدي الذي تعتبره دنياها كلها علماً أنها تكاد لا تراه.

ـ أجل. . أوسكار يهمل عائلته حقاً. . أليس كذلك؟

رد مايك ببرود:

ـ يهملهم جميعاً إلا فرداً واحداً.

استدارت ميريل نحو طاولة الشراب:

ـ لا أحسبني أرضى الخوض في وضع أمك.

هز مايك كتفيه:

ـ كما تشائين. . إنه سرّ كبير، أليس كذلك؟ إنه الشبح الذي يلاحق عائلة ديسموند. . .

التفتت ميريل إليه بحدة:

ـ كفى مايك! لن أسمح لك بكلام كهذا.

وما أدهش يونا أن مايك أذعن بسرعة.

ـ آسف ميريل إلا انني أحياناً أشعر بالسأم من الأمر كله.

لان صوت ميريل:

ـ أعلم. . والآن، ماذا تريد أن تشرب؟

خلال الغداء، لم تتفوه يونا بكلمة واحدة تقريباً! كانت تصغي إلى

حديث ميريل ومايك.. وقد استطاعت في فترة وجيزة معرفة أمور كثيرة عن أوسكار ديسموند غير أنها تعجبت من سرعة التقاط دماغها لكل كلمة قيلت عنه، ومن تخزينه المحكم لمعلومات بدت وكأنها كنز ثمين. الأمر مخيف.. أحست وكأنها تسير على حافة هوة عميقة معرضة للوقوع فيها في أية لحظة.

عرفت مثلاً أن أوسكار يملك شقة في نيويورك، ومنزلاً في نيوبورت في لونغ ايلند على شاطىء المحيط إضافة الى شقة في روما وأخرى في باريس، وأن مايك نشأ على يد الحاضنات والمربيات، وأن مربيته العجوز، التي أشار إليها باسم ناني تقسم وقتها ما بين شقة نيويورك ومنزل نيوبورت حيث تكون حين يأتي من المدرسة ويكون والده مسافراً.. كما عرفت أن مايك سافر كثيراً من قبل وأنه أمضى عطلة الصيف الفائت مع والده في انكلترا، حيث استأجر منزلاً على شاطىء القنال في دوفر وقضيا وقتاً ممتعاً في السباحة والتزلج المائي والابحار.

أدركت يونا أن أوسكار رغم سفره الدائم يقضي مع ابنه وقتاً يستطيع أثناءه التفاهم معه. فعلاقتهما شيقة، وهذا ما لا يظهر عادة بين أولاد وآباء يقضون معظم الأوقات معاً.

كانت يونا تجد صعوبة بالتفكير في المستقبل دون القلق بشأن المال... إلا أن الحصول على إيراد غير محدود امر يغير الحياة كثيراً.. فها مايك يتحدث عن تعلم الطيران، كما يتحدث ولد عادي عن تعلم ركوب الدراجة أو قيادة السيارة. فلديه كل ما قد يُشرى بالمال: جياد ويخت صغير يرسو في مرفأ خاص به في منزلهم الواقع في لونغ آيلند وكاميرا تصوير سينمائية، ومعدات صيد السمك ومعدات الغطس التي استخدمها في برمودا في عطلة الميلاد الماضي وذلك حين تعلم الغطس. راحت يونا تفقد شيئاً فشيئاً القدرة على عد الأشياء التي شاهدها وقام بها. ولكن ما كانت تستغربه عدم حماسه، فلم يتحدث

عما فعله بحماس بل بلا مبالاة وضجر عندئذ تساءلت كيف سيكمل مشوار الحياة ما دام وهو في الخامسة عشرة قد قام بما قد لا يقوم به شخص عادي في عمره كله. ربما الثراء ليس أمراً عظيماً، فمايك سيجد الحياة مملة بعد سنوات، هذا إن لم تتغير حياته جذرياً. فهمت الآن لماذا أمثاله يميلون إلى الانحراف عن السبيل السوي فهم يسعون دائماً الى ما هو جديد ومثير ليبددوا بعض ضجرهم.

بعد الغداء توجهوا إلى المطار ومنه إلى الطائرة التي جلست فيها على المقعد الملاصق لمقعد مايك ذلك أن ميريل أرادت الانفراد لنيل قسط من الراحة.

بعدما عاملها مايك في البدء بجفاء عاد فأصبح ودوداً معها مظهراً سحره فاستجابت له وأخبرها عن حياته في المدرسة الداخلية. ووصف لها المنزل في نيوبورت الواقع على طرف بحيرة طبيعية تتصل بالبحر بواسطة ممر صغير بين الصخور المرتفعة. وتابع بحماس:

ـ المنظر هناك رائع.. لقد زرت جميع أنحاء العالم، لكنني أحب منزلنا في لونغ ايلند. لا أنكر أن الطقس الدافىء يرضي النفس كثيراً إلا أن هذا لا يعني أنني لا أحب منزلنا.

تنهدت يونا:

ـ يُظهر كلامك المكان وكأنه رائع. أنا لم أزر قط لونغ أيلند.

ـ ألم تزوريها؟ قضت ميريل فيها أوقاتاً أستطاعت خلالها كتابة قصة. كان والدي مسافراً يومها فأتت إلى منزلنا وبقيت فيه معي إذ كنت في ذلك الوقت في إجازة. وقتذاك أمضينا أوقاتاً رائعة لأن ميريل رياضية.

ـ ألا تود لو تسافر مع والدك دائماً؟ أعني، بما أنه يقضي معظم وقته هنا، الا يمكن أن تدخل مدرسة ليس فيها قسم داخلي لتقضي معه أوقات الفراغ؟

هز كتفيه دون اكتراث:

ـ إن هذا غير ممكن لأن والدي يفضل نظام المدارس الداخلية. وأنا أدرس في المدرسة التي درس هو فيها، وأتوقع أن ألتحق بالجامعة نفسها.

ـ أوه.. أعتقد أنك تشتاق إليه كثيراً.

ـ أثناء الدراسة لا أشتاق إليه. أما في الإجازات فأراه كثيراً. وما يحدث عادة أنني أسافر إلى حيث يكون. لقد زرت بهذه الطريقة معظم بلدان العالم.

عندما ضحكت عنّ لها سؤال ما لكنها عادت فكبحته فما فائدة أن تسأله عن أمه.

حطت الطائرة في روما بعد الرابعة بقليل، حسب توقيت ايطاليا. بعد الاجراءات الرسمية، خرجوا من المطار فوجدوا سيارة كبيرة إيطالية الصنع تنتظرهم وسائقها لتقلهم الى الشقة...

تقع شقة أوسكار في الطابق العلوي في مبنى سكني حديث يتربع بين حدائق غنّاء خطفت أنفاس يونا.. تحد المبنى ضفة نهر التيبر، وساحة «بيازاڤينيزيا» الذي يقع في وسطها نصب عمانوئيل الثاني، كانت على شرفة المبنى الواسعة تماثيل وبرك صغيرة، ونباتات استوائية، تخطف البرودة عن مظهر الإسمنت والفولاذ.. وتستبدله بجمال وجلال الحجر المنحوت، وما يحيط به من أزهار ورذاذ ماء متطاير...

حين دخلوا المبنى، انفتحت أبواب زجاجية فكشفت عن ردهة رخامية باردة.. فيها ستة أبواب لستة مصاعد ومقر حارس المبنى، ولوحة تشير إلى ممر خلفي، شرحت ميريل ليونا انه ممر يفضي إلى موقف السيارات القابع تحت الارض.

حملهم المصعد بسرعة وصمت إلى الطابق العلوي الذي كان فيه ممر مغطى بالسجاد السميك، ساروا عليه حتى دنوا من باب كتب على لوحة نحاسية تلمع كالذهب اسم «ديسموند» بأحرف من ذهب خالص.

ما أن دخلوا إلى الشقة، حتى سارع خادم لاستقبالهم.. كانت

غرفة الاستقبال غير مشعة بالأنوار، جدرانها مغطاة برسوم يدوية هي عمل لفنان بارع، تحتلها سجادة يدوية الصنع يتدلى على مقربة منها الستائر المخملية النبيذية اللون، التي تغطي نوافذ عريضة وكان ثمة باب في هذه الغرفة زجاجي يفضي إلى الشرفة المطلة على الحدائق وعلى الساحات وكان على هذه الشرفة أرجوحة على شكل أريكة وطاولة زجاجية السطح وعدة مقاعد. فبدت وكأنها فخ يصطاد الشمس اصطياداً، فقد كانت الشمس حتى في مثل هذا الوقت المتأخر من العصر دافئة رائعة.

لاحظت ميريل الذهول على وجه يونا فسألتها مبتسمة:

ـ أخطف المنظر أنفاسك؟

كان في ابتسامة يونا استهجان.

ـ أجل.. المنظر رائع! يا الهي! انظري كيف يعيش الارستقراطيون؟

ـ لا تسيئي الظن يونا، حين حل أوسكار محل ابيه بعد موته، لم يكن لاسم ديسموند ذكر في عالم الثراء لقد بنى هذا كله بمجهوده وتعبه.

فعلق مايك ساخراً:

ـ وأهمل كل ما عداه..

غضبت ميريل منه فقالت:

ـ هذا غير صحيح... يستحق والدك بعض الثقة فهو لم يجعلك تحتاج إلى شيء. ولو كان والدك كسولاً كما كان جدك لوجدت حياتك مختلفة. فلم يحصل أوسكار على ما يريد في طفولته ولم يكن المال متوفراً له كما هو متوفر لك. تذكر هذا. ولا تقل إنك تفضل العمل لتحظى بما تريد فلست من هذا الطراز مايك.. ولو صدقت مع نفسك لاعترفت أن لديك الكثير لتكون ممتناً.

ابتسم مايك:

- حسناً ميريل... اهدئي! يا إلهي! أنت أفضل محامية تدافع عن أبي...

ضحكت ميريل بعد أن هدأت:

- أعتقد أنني كذلك لأنني لا أحب أن أسمعك تذكر أبيك بسوء.

- لا أذكره بسوء أبداً، ربما أتذمر بين الحين والآخر. إلا أن ذلك لا يعني أنني أقصد ما أقول، ولكنني أتمنى ألا يغيب عني طويلاً.

وتوجه إلى غرفة نومه، فظهرت الدهشة على يونا التي قالت:

- حين سألته إن كان يشتاق إلى أبيه، أنكر.

- يجب أن تتعرفي إليه جيداً حتى تفهميه. هو قادر على التكلم باعتداد وثقة بالنفس إلا أنه يبقى رغم ذلك في الخامسة عشرة من عمره. فتذكري هذا رغم فعاله وتصرفاته.

جلست على الارجوحة باسترخاء ثم أردفت:

- يفضل اوسكار الإقامة في شقة حيثما حل على الإقامة في الفنادق.

أشعلت يونا سيكارة ودنت من حاجز الشرفة:

- بعد ما شاهدته في هذه الشقة لا أستغرب حبه للشقق. أتعتقدين أنه مضطر لقضاء معظم وقته بعيداً عن موطنه؟ أعني، رجل في مثل مركزه يمكنه تفويض من يقوم بالعمل نيابة عنه.

- صحيح... لقد تساءلت مراراً عن هذا إلا أنه لا يحب أن يزج أحدهم أنفه في شؤون عمله. أنا في الوقت الحالي لا أعرف التزاماته ووضعه فقد مضى زمن طويل منذ أن رأيته.

- التزامات؟ مثل ماذا؟

ظهر مايك من خلفهما بعد ان غادر غرفة نومه لينضم إليهما... وابتسم ساخراً ليقول:

- هذا بالضبط ما نود ان نعرفه..!

* * *

٤ - صوته البعيد

كان في الغرفة التي نامت فيها يونا سجادة بيضاء، فابتسمت لنفسها لأنها تذكرت أنها في طفولتها كانت تحلم بغرفة تحوي سجادة بيضاء عوضاً عن الفراش الذي كانت تنام عليه مع خمس بنات في الميتم.

ضحكت صباحاً وهي تسير نحو الحمام الذي ذكرها بالحمام الذي تستخدمه وجاين إضافة إلى فتاتين أخريين. نظرت الى ساعتها فرأت أنها السابعة والنصف صباحاً وهي عادة تستيقظ في مثل هذا الوقت في بلادها إذ لا تحب الكسل وإن كان الفراش حريرياً كهذا الذي نامت عليه الليلة. ما أروع أن تسير في الغرفة مرتدية ملابس النوم دون الإحساس بالبرد، نظراً للدفء الذي يوفره جهاز التدفئة المركزية.

أمضت وميريل في الليلة السابقة بضع ساعات بعد العشاء تتمشيان في شوارع روما لمشاهدة معالم المدينة الأثرية التي تنتشر النصب القديمة في كل زاوية من زواياها... أما مايك فامتنع عن مرافقتهما وسخر من حماستهما وتقديرهما لكل شيء.

تنهدت يونا، ثم خلعت ثياب النوم ودخلت إلى المغطس العميق... كانت تجفف نفسها حين سمعت وقع اقدام في غرفتها تتجه إلى الحمام، ثم سمعت قرعاً خفيفاً على الباب:

- سينوريتا؟

لفت المنشفة بشدة حولها.

- نعم؟ ما الأمر؟

- حملت لك فطورك.

تعرفت إلى صوت الخادمة التي قدمت لهم العشاء ليلة أمس.

- شكراً لك.. اتركيه على الطاولة رجاء.

- طبعاً.. شكراً لك آنستي.

حين خرجت، وجدت على الصينية إبريق قهوة وخبزاً طازجاً وزبدة صفراء... بدا الفطور مغرياً، فلم تنتظر حتى ترتدي ثيابها، بل جلست على حافة السرير وبدأت تأكل.. كانت القهوة قوية ذات رائحة لذيذة جعلتها تحتسي عدة فناجين.

بعد أن انتهت اتجهت نحو الأبواب الزجاجية التي تفضي إلى الشرفة ووقفت تتنشق الهواء العطر العابق برائحة الزهور الفوّاحة المنبعثة من حديقة المبنى. كانت أصوات المدينة تأتيها مخنوقة.

أدركت فجأة أن المنشفة ما تزال حول جسدها فأسرعت تغلق الأبواب وتشرع بارتداء ملابسها.. وأدركت كذلك أن حجم المنشفة كان كبيراً على امرأة.. اهي لاوسكار ديسموند؟ ارتجفت أصابعها قليلاً، وكان عليها أن تركز بقوة على ما تفعل لتمنع نفسها من التفكير المجنون.. يجب أن تتوقف عن التفكير بالرجل بهذه الطريقة. إنه جنون مطبق فتمنت في هذه اللحظة لو أنها لم تأت إلى هذا المكان.

حين انتهت من ارتداء ملابسها، توجهت إلى غرفة الطعام فوجدت الخادمة تنظفها. ابتسمت الخادمة لها فردت يونا الابتسامة متسائلة:

- أين الآنسة بولتون؟ هل استيقظت؟

- لا آنستي.. أنت أول من استيقظ.

- شكراً لك.

دنت من النوافذ العريضة لتتأمل المنظر الرائع الذي يبدو من هذه الغرفة. كانت مذهولة بما ترى فما أروع أن يمتد نظر الإنسان بعيداً إلى حيث النهر يقسم المدينة الى قسمين.

أنهت الخادمة التنظيف وتركت الغرفة، فاشعلت يونا سيكارة

وتقدمت من جوار علبة رفوف مكتظة بالكتب المتنوعة.. فالتقطت كتاباً وجلست تقرأه فضاعت في عالمه الخيالي، وغرقت فيه حتى فوجئت حين رن جرس الهاتف القريب منها.

التقطت السماعة بسرعة، دون أن تنتظر الخادمة.

- من المتكلم أرجوك؟

رد عامل الهاتف طالباً منها البقاء على الخط لتلقي مكالمة من نيويورك.. فجأة شعرت يونا بالوهن، فثمة شخص واحد قد يتصل في مثل هذه الساعة. عندئذ تمنت لو تركت الخادمة تجيب عن المكالمة.

أتاها صوته العميق الجذاب بما يشبه الصدمة فقد كان يقول باسترخاء:

- اهذه انت ميريل؟

ابتلعت يونا ريقها بصعوبة:

- لا.. سيد ديسموند. هذه أنا... يونا نولان.

- أوه.. صحيح... صباح الخير يونا.. استيقظت باكراً.

- ليس في الواقع، إنها الثامنة والنصف.

- صحيح... صحيح... أريد التحدث إلى ميريل قبل ان تنتقلوا إلى منزل ماري. أهي موجودة؟

- لم تستيقظ بعد، هل استلم عنها رسالة؟

- أراني مكتفياً بالحديث معك... قولي لها أن تطلب من ماري المجيء إلى روما في الأسبوع المقبل.. فأنا أريد رؤيتها.

عضت يونا على شفتها وهي تسأل:

- ألم يكن بإمكانك الاتصال بشقيقتك شخصياً؟

ضحك أوسكار، ورد بصوت ساخط:

- لا أدري لماذا علي أن أفسرّ لك تصرفاتي. ولكن، بما أنني واثق أن دوافعك بريئة، فسأجيب.. ستكتشفين بنفسك بعد ظهر اليوم أن قصر شقيقتي غير متصل بشبكة هاتف... أيرضيك هذا الرد؟

ردت يونا بذهول:

- لكنني فهمت أنك وميريل تحدثتما إلى شقيقتك هاتفياً منذ يومين.

- هذا صحيح، ولكنها كانت في الشقة التي أنت فيها الآن...

أحست يونا أن وجهها لن يستعيد لونه الأصلي ثانية، فتمتمت مكبوتة:

- فهمت.

فتابع:

- استرخي.. لا أعترض على تساؤلاتك ولو كنت لا أريد الإجابة لما أجبت.

ابتلعت يونا ريقها ثانية.

- شكراً لك سيد ديسموند.

- لا بأس في هذا آنسة نولان.

عندها شعرت بأنه يهزأ بها ثانية فانزعجت ولكنها قالت بصوت منخفض هادىء:

- أهذا كل شيء إذن؟

- أظن هذا.. هل تتمتعين بوقتك؟

- أجل.. شكراً لك.

- أوه.. لا تقولي هذا وكأنني أسألك اذا كنت تتمتعين برحلة مدرسية يوم الأحد. ما رأيك بروما؟ ألا تتوقين شوقاً إلى رؤية توسكانيا؟

- روما رائعة.. أما بالنسبة للسفر إلى قصر شقيقتك، فأنا صدقاً لا أعرف كيف سأتعامل مع نبلاء أمثالهم.

- إن روماندو فايكونت حقيقي، ولكن ماذا في ذلك؟

- يسهل عليك أن تقول هذا القول.

أحست بالذهول لأنها تجرأت على محادثته بهذه الطريقة، ولكنه

قال بهدوء:

- آسف يونا لأنني مازحتك بهذه الطريقة المزعجة. ولكن لا تقلقي فأنا موقن أن ماري وروماندو سيعجبان بك.

أحست يونا بانقلاب في معدتها.. ماذا يعني بقوله هذا؟

وأكمل بنعومة:

- والآن يجب أن أذهب.. لدي عمل كثير اليوم... وداعاً في الوقت الحاضر.

- وداعاً سيد ديسموند.

أعادت السماعة على مضض.. إنها لا تريد لهذه المكالمة أن تنقطع ولو لحظة صغيرة!

كانت تحدق في الفضاء ساهمة، والكتاب مفتوح على ركبتيها حين أطلت ميريل من غرفة نومها مرتدية روباً صوفياً طويلاً. حين لمحتها عادت إلى الأرض من جديد، فاخفضت نظرها، شاعرة بعقدة ذنب لسبب ما، فتطلعت إليها مخدومتها قلقة:

- رائع رائع... ما هي هذه الأفكار المحرّمة التي تتمتعين بها؟

فعاد لون يونا إلى الاحمرار:

- لا أدري ما تعنين... لقد اتصل السيد ديسموند هاتفياً.

- أوسكار؟ ماذا يريد؟

- هو يريد أن تطلبي من شقيقته التواجد في روما نهاية الاسبوع التالي لأنه يريد رؤيتها، ولا تسأليني المزيد، لأنه لم يقل شيئاً آخر.

- فهمت.. وماذا قال غير هذا؟

- لا شيء كثير.. اخشى أنني أقول وأفعل ما هو خاطىء أمامه.

ضحكت ميريل:

- لا تقولي إنك كنت فظة معه ثانية.

- ليس بالضبط، ولكن يبدو أنه يلتذ بمضايقتي.

- بكل تأكيد إن له تأثيرًا قوياً عليك... ولست واثقة إن كان هذا

التأثير مستحسناً.

بدت ميريل جادة في كلامها، فسارعت يونا تسأل بقلق:

ـ لماذا؟ أتتصورين أن هناك ما يدعو للقلق؟

مدت ميريل يدها لتتناول سيكارة:

ـ يونا حبيبتي.. أنا أحبك حباً جماً، ولكنك في الواقع... ساذجة على أكثر من صعيد.

أرتفع رأس يونا بحدة:

ـ ساذجة؟ أنا؟ لا تكوني سخيفة!

ـ بلى.. انت ساذجة عزيزتي.. حقاً... ورقيقة معرضة لكل أنواع المخاطر كذلك.. أنا أحب أوسكار ولا أسمح لأحد أن يقول كلمة نابية عنه، لكنني أخشى عليك من أوسكار المعروف بقدرته على النساء والسيطرة عليهن.

ـ لكنه رجل متزوج... ألم تذكري ذلك أنت نفسك؟

ـ نعم.. وهذه حقيقة.. إنما.. حسناً.. ليس زواجه بزواج طبيعي، أما هو فرجل بكل ما للكلمة من معنى.

ـ أظن أن هذا أمر مقرف.

ووقفت مردفة:

ـ لا أريد البحث في مثل هذه الأمور.

وضعت يدها على عنقها واتجهت نحو النافذة، فتنهدت ميريل:

ـ أرأيت ما أقصد؟ أنت صغيرة وساذجة.. وضيقة الأفق قليلاً..

ـ ضيقة الأفق؟ أتطلقين عليّ هذه الصفة لأنني أرى أن على الزوج أن يكون مخلصاً لزوجته؟ هذا آخر ما ينطبق عليّ، أسألي رايز.. إنه يعتقد أنني متحررة جداً على أصعدة عدة.

ضحكت ميريل ساخرة:

ـ لقد سبق أن قلت لك إن ذلك الولد أكبر بكثير من حجمه فلا تستشهدي به أمامي رجاءً!

ـ ولماذا؟ إنه خطيبي. فلمَ لا استشهد به؟ آه ليتني لم أشارك في هذه الرحلة السخيفة.

أدركت يونا للأسف، أنها وميريل تتشاجران للمرة الأولى منذ تعارفهما وما مشاجرتهما إلا متعلقة برجل قد لا يعني إلا القليل لكليهما. فضغطت يديها على وجنتيها الحارتين وتأوهت:

ـ أوه ميريل... أنا آسفة.. أنا آسفة على فظاظتي وتوحشي رجاء سامحيني.

أحست ميريل بذوبان قلبها إشفاقاً، وهي تتقدم نحو يونا لتلف ذراعها حول كتفيها:

ـ وأنا آسفة كذلك يونا... أخشى أنني تركت العنان لمخيلتي الناشطة.. فأنت كنت دوماً بالنسبة لي كابنة ولذلك أكره أن تقومي بما قد تندمين عليه فيما بعد.

هزت يونا رأسها بيأس:

ـ وماذا قد أفعل بحق الله؟ إن كنت تلمحين بكلامك هذا إلى أوسكار ديسموند، أعترف أنني أجده جذاباً، إلا أنني لن أتخلى عن رايز من أجله أبداً، فأنا أحب رايز.. وأعتقد أن هذا ما أنت خائفة منه.

ـ أعتقد هذا.. لكن يا يونا، أنا جد متعلقة بأوسكار، وأكره أن أجد نفسي على خلاف معه من أجلك.

رفعت يدها حتى توقف يونا عن مقاطعتها:

ـ لا.. انتظري، فأنا أعرف أوسكار معرفة وثيقة تجعلني أفهم نظرات أوسكار التي راقبك بها منذ بضع ليال في شقتي، حينئذ لم الق بالاً كثيراً، أما الآن، بعد أن اتصل دون سبب حقيقي فأشعر بالخشية..

ـ لقد طلب التحدث إليك، ولكنني قلت إنك ما زلت نائمة.

ـ لو أراد التحدث إليّ حقاً، لطلب منك إيصال المكالمة إلى غرفتي.. وهو يعرف هذا.

ـ وبما أنني أعرف أيضاً فقد اقترحت هذا عليه.

- وما كان رده؟

بلعت يونا بصعوبة لعابها:

- قال إن الأمر غير ضروري.

دنت ميريل من الباب الزجاجي المفضي إلى الشرفة وقالت بعد قليل:

- سيكون اليوم رائعاً.

فراقبتها يونا ثم سألت:

- أفهم من هذا أن الموضوع أُقفل؟

- في الوقت الحاضر.

وخرجت الى الشرفة تتم الحديث:

- لا أظن أنني سأسأم أبداً من هذا المنظر. إنه رائع.

غاصت يونا في كرسي منخفض.. ما أغبى مشاعرها! فإنَّ رجلاً متزوجاً يبيح لنفسه معاشرة نساء أخريات لجدير بالازدراء مهما كان ثراؤه ونفوذه.. قد تكون الأمور مختلفة في المجتمع الراقي، ولكنها وضيعة لدى عامة الناس، الذين يعملون لينفقوا على بيوتهم. إنها محظوظة برايز الذي هو شاب صلب صغير يقوم بأعباء وظيفة ثابتة، غير طامع بأشياء بعيدة المنال. أحست بالاشفاق على زوجة أوسكار ديسموند، كائناً من تكون.. لأن العيش مع رجل كهذا رهيب. لا تعرف أين هو ولا مع من. ألهذا لا يسمع أحد بها؟ ألهذا لا ترافقه في أية مناسبة؟

عادت ميريل من الشرفة الى الغرفة:

- ابتهجي حبيبتي.. لم نبلغ بعد نهاية العالم. سيخرج مايك بعد قليل فيلاحظ اكتئابك.

- مايك.. أوه.. أجل.. أتعلمين أنني حين وصلت الشقة يوم أمس ووجدته هناك، سألني عما إذا كنت أعرف والده معرفة وثيقة، وقد أذهلني سؤاله في ذاك الحين أما الآن فما عدت مذهولة بل إن ما

يدهشني عدم إدراكي الأمر قبل الآن.. مسكينة السيدة ديسموند!

- من؟ هيلين؟ أجل أحس بالأسى عليها إنما ليس بالمعنى الذي تعتقدينه أنت.

مدت يونا يديها إشارة توسل:

- بالله عليك دعك من الألغاز، ولنترك الموضوع عند هذا الحد. وأنا أعدك بأن أحذر أوسكار «الرهيب» فاطمئني.

ابتسمت ميريل:

- حسناً... أعرف أنك لن تخذليني.

* * *

٥ ـ تعالي الى يختي

تمتعت يونا بالرحلة الى توسكانيا. كان صباحاً جميلاً سرعان ما بدده وهج الظهيرة. وصلوا الى قرية فيوريلو في الحادية عشر، وهي قرية منازلها شبيهة بالأكواخ.

قبل أن يصلوا الى قصر «ديلا موري» اي قصر الحب بدت لهم أبراجه مرتفعة أكثر من الأشجار، فبدا وكأنه قصر من قصور الاحلام الخيالية التي تلمع على زجاجها اشعة الشمس مضيفة أشعة ذهبية الى الأبنية الحجرية الرمادية.

قربت يونا وجهها من النافذة مبهورة برؤية هذا القصر القائم على رأس وادٍ. بينما كانوا يقتربون منه، قلت كثافة الأشجار حوله فاستطاعت يونا رؤية بحيرة اصطناعية تسبح فيها عدة اوزات، تضيف الى المشهد لمحة خرافية. ولجت السيارة بين دفتي بوابة حديدية، على قمتها شعار وهو عبارة عن سيف سانتو ماديرا، التي على رأسها الآن رومانو سانتو ماديرا. فتمتمت يونا بصوت رقيق:

ـ قصر ديلا موري.. قصر الحب.

ابتسمت ميريل:

ـ اجل.. انه قصر جميل فعلاً.

علق مايك ساخطاً:

ـ أظنهم بالغوا في فخامته. لماذا كان على عمتي ماري أن تتزوج بنبيل ايطالي؟

رفعت يونا حاجبيها:

ـ ولماذا لا؟

ـ لا يعجبني هذا التكبر والانحناء أمامه.

ضحكت ميريل:

ـ ربما حين تكبر ستجد أن الانحناء افضل بكثير من «مرحبا شباب»! وانا مقتنعة أن المرأة تحس بأنوثتها حين تعامل بتكريم واجلال.

اوقف السائق السيارة أمام درج منخفض يقود الى باب سنديانى متين، مزين بمقابض سوداء، ومطارق على شكل رأس الاسد.

ـ حسناً اعزائي لقد وصلنا.

ترجلت ميريل من السيارة دون أن تنتظر من السائق أن يفتح لها الباب ثم راحت تتأمل واجهة القصر الضخمة الباهرة الجمال ثم لم تلبث أن ترجلت يونا أيضاً ناسية توترها امام الاكتشاف الرائع امامها.

ـ إنه رائع ميريل.. ما أسعدني بقدومي! ما كنت أود أن يفوتني هذا ولو مقابل العالم كله!

فتح الباب الضخم في تلك اللحظة وخرج منه شخصان يافعان فهمت يونا سبب نظرة مايك المتعالية إليهما فانطوني رغم بلوغه الرابعة عشرة يبدو كتلميذ أطول من المعتاد فوضوي أما إيلينا الاكبر منه بسنة، فكانت ترتدي سروالاً وقميصاً كأخيها تماما. فإذا قارن المرء بين مايك وبينهما وجد أن الأخير اكبر سناً واكثر خبرة وحنكة.

ـ خالتي ميريل.. ! ما أروع أن نراك!

كان اهتمام الولدين منصباً على ميريل فنظرت يونا الى مايك متسائلة عما يشعر به وهو يراهما يتجاهلان وجوده فدهشت لأنها رأت نظرة حسود تقريباً على وجهه سرعان ما تلاشت ليحل محلها التسلية. في تلك اللحظة أدركت يونا مشكلة مايك.. لقد عومل وكأنه راشد في وقت مبكر جداً فخسر طفولته ومراهقته وراح يحاول أن يكون رجلاً.

وجدت يونا مرة أخرى أفكارها تتجه الى هيلين ديسموند.. لماذا لا يمكنها تربية ابنها فناني المربية عجوز أكثر من اللازم لتفهم ما ينقص مايك الذي يحس أنه غريب عن مكانه وزمانه، وهو لهذا السبب لن يتمكن من التواصل والتفاهم مع هذين الطفلين.

غريب تورطها وتعلقها بعائلة ديسموند.. ولكن كيف تستطيع أن تتجاهل نداء مايك الباطني الذي ينشد المساعدة.. يجب فعل شيء حيال ذلك وبسرعة. إنما كيف؟

قدمت ميريل يونا الى انطوني وايلينا، فوجدتهما فاتنين. كان يتحدثان الانكليزية باتقان، وهذا أمر غير غريب لأنهما يدرسان في مدارس انكليزية داخلية. كان يمكن لانطوني ان يشارك مايك المدرسة ولكن والده الفايكونت تربى وتعلم في انكلترا، فكان أن أرسل ابنه الى مدرسته القديمة كما حدث مع مايك الذي التحق بمدارس أوسكار.

كانت هذه المعلومات تتناهى الى مسمعي يونا من خلال ميريل. ارتقى الجميع الدرج المنخفض متجهين نحو مدخل تعلوه قنطرة لاقاهم عنده خادم يرتدي بدلة سوداء راح يعطي التعليمات للسائق بشأن الحقائب . دخلوا الى ردهة ضخمة جدرانها مغطاة بخشب الجوز القاتم المتناقض في لمعانه مع السجادة السميكة الافغانية الصنع.. ومع أن اليوم كان دافئاً، إلا أن ناراً كبيرة كانت تستعر في الموقد ولكن ايلينا شرحت ليونا أن في القصر نظام تدفئة مركزية.

ـ ولكن الجدران الحجرية تحتاج الى تدفئة مركزة لتبقى الحرارة حية. والدتي مشغولة الآن مع الطباخة التي تتلقى منها التعليمات بشأن الغداء.. لقد جرى خلاف هذا الصباح لأن الطباخة ومدبرة المنزل الجديدة لا يطيقان بعضهما بعضاً. ولأن لدينا حفلة عشاء الليلة رغبت والدتي في إحلال السلام بينهما لذا طلبت مني الاعتذار نيابة عنها حتى تستطيع موافاتكم.

ونظرت الى يونا ومنها الى ميريل:

ـ أتودّان بعض القهوة أم تفضلان الايواء الى غرفتيكما أولاً؟

كان مايك قد اختفى مع ابن عمته وقالت ميريل:

ـ حسناً.. أنا أفضّل الاغتسال قليلاً. ماذا عنك يونا؟

ـ إنها فكرة عظيمة فأنا أكاد أموت شوقاً لرؤية القصر العظيم.

كان الدرج المؤدي الى الطابق العلوي عريضاً ومنخفضاً.. في أعلاه ممر يتفرع في كافة الاتجاهات.. وأحست يونا كأنها انتقلت عبر الزمن الى الوراء، فلمّا عبّرت عما تشعر به بدا الفخر على ايلينا.

ـ إنه رائع.. أليس كذلك! ورثه ابي عن جدي منذ عشر سنوات.. وقبل أن ننتقل إليه كنا نعيش في روما ولكننا نفضله على الشقة التي لم نستطع فيها بالتأكيد تربية حيوانات. أما هنا فلكل منا أنا وطوني كلبان وجوادان.

ـ أتجيدين امتطاء الخيل؟

هزت يونا رأسها:

ـ لا.. لا أجيده.

ـ يجب أن تتعلمي.. ربما يعلمك ابي الذي هو فارس ماهر. أليس كذلك خالتي ميريل؟

ابتسمت ميريل:

ـ بل رائع.. ولكنني ويونا لن نبقى هنا الا حتى الغد وهذا يعني أنها لن تستطيع التعلم في هذه الفترة الوجيزة.

ـ اوه.. يا للأسف. لماذا لا تبقيان مدة أطول؟ أنا على يقين من أن أمي ستحب مكوثكما مدة طويلة. فهي تحب صحبة الناس خاصة وأننا في عزلة هنا.

ربتت ميريل كتف ايلينا برفق وقالت:

ـ لا يجب ان تطلقي الدعوات بهذه الطريقة ايتها الشابة.. خاصة وقد اخبرتنا للتو أن أمك تعاني من متاعب مع الخدم.

ضحكت إيلينا:

- ربما أنت على حق.. ولكن لا تبالي بكلامي.

- لمن تقام حفلة العشاء الليلة؟ ليت أمك لا تتجشم عناء لا لزوم له من أجلنا.

- اوه.. لا.. إن امي تحب اقامة حفلات العشاء، إن وجودكم مناسبة صغيرة لدعوة عشرة أشخاص فقط عدانا وعداكم.

- عشرين شخصاً تقريباً وتسمينها حفلة صغيرة؟

إن كانت حفلة تضم عشرين شخصاً مناسبة صغيرة فما هي اذن المناسبات الكبيرة؟ شعرت يونا بالرهبة فكيف لها أن تتفاهم مع حشد من الايطاليين؟

بعد أن اغتسلت بسرعة وبعد أن جدّدت زينتها نزلت الدرج ثانية حيث التقت بمايك وهو صاعد. فقال لها ساخراً:

- حسناً أيتها الاميرة؟ هل استكشفتِ برجك العاجي؟

ردت يونا بحزم:

- لا تسخر، فهذا لا يناسبك... إن القصر رائع لذا لن تقدر أن تجعلني أغيّر رأيي فيه.

- عظيم.. أهنئك!

أحست بالاحمرار يغزو وجهها حين تقدم منهما رجل طويل.. فنظر مايك الى يونا متسلياً ثم قال:

- عمي... أقدم لك الانسة يونا نولان إنها سكرتيرة ميريل.. يونا هذا الفايكونت سانتومادير!.

انهى كلامه بابتسامة جعلت يونا تحس بالحرج والتوتر ولكن روماندو دي سانتومادير! أسرع يقول بطريقة ساحرة:

- رجاء تجاهلي اخلاق ابن اخ زوجتي البائسة سنيوريتا. أؤكد لك انه يبذل جهداً كبيراً ليظهر نفسه بمظهر الحاذق الواسع الخبرة.. أما انا.. فأفضل أن يكون الاطفال اطفالاً حتى يحين أوان نضوجهم.

ردت يونا بحماس:

- اوه.. انا أوافقك الرأي.

رفع الفايكونت يدها الى شفتيه.. فنظر اليهما مايك بطريقة خالية من المشاعر، ثم ارتدّ على عقبيه مرتقياً الدرج بسرعة. أما الفايكونت فلم يلبث أن ترك يدها وأمسك بمرفقها يقودها باتجاه نوافذ غرفة الاستقبال الساحرة، التي تم توسيعها لتطل على منظر البحيرة المبهج.

- اذن! لقد احببت قصري آنسة نولان.

- أرجوك، نادني يونا.. أظنه اجمل مكان، ومع ذلك فهو بيت حقيقي.

- شكراً لك.. يونا ولكن رجاء ناديني روماندو. فالألقاب هذه الايام ما عادت تعني شيئاً خاصة وانني لست سوى مزارع.. لدى كروم عنب أزرعها وبساتين اعتني بها. ترى ماذا بامكاني أن أفعل سوى الزراعة؟ وليس بين عائلتي إلا مزارعين؟

- أما كنت تقيم في روما؟

كادت تعض لسانها، فما شانها وشأن إقامة الفايكونت في روما؟ يوماً ما سيوقعها لسانها في مأزق.

- أجل.. كنت أدرس علم الزراعة في الجامعة، وفيما بعد قسمت وقتي بالتساوي بين هذا المكان وبين روما. فهذا القصر كان دائماً منزلي.

- فهمت هذا.. عذراً لأنني أسأل أسئلة كثيرة.

- هراء.. وكيف لنا ان نعرف إن لم نسأل؟ أنا أشجع أولادي على طرح الأسئلة فهي عادة حسنة.

ابتسمت يونا:

- ولكنني لست طفلة.

- أنت لست طفلة بالتأكيد. يا لي من رجل! كيف أهمل واجباتي؟ ماذا تودين أن تشربي؟

حين انضمت اليهما ميريل، كانا يحتسيان عصير العنب المحفوظ

في زجاجات ويتباحثان أموراً تتعلق بالزراعة. بدوا كصديقين قديمين وهذا فعلا ما أحست به يونا. فالكونت ممتع الحديث حتى ينسى المرء معه أنه نبيل من النبلاء فليس عنده تحفظ أو فروقات طبقية. كانا مجرد انسانين وجدا أموراً ذات أهمية مشتركة يتباحثان فيها.

أما ماري سانتومادیرا فكانت على نقيض تصورات يونا جميعها فبعد أن عرفت أوسكار ديسموند وشخصيته المسيطرة، وجدت ان ماري مختلفة كل الاختلاف فهي صغيرة الجسم، نحيلة، وشقراء، وهذا ما أدهش يونا، وكانت ودودة كذلك غير متكلفة، ذات روح مرحة وهي كما تظهر واضحاً ليونا تعبد زوجها الوسيم، وهو يبادلها الحب.. انسجامهما التام جعلها تهتم مضاعفة بمايك الذي لا بد يشعر بالفرق الهائل بين وضعه بين عائلته وبين وضع انطوني وايلينا الآمنان بين أحضان والدين يحباتهما كل الحب.

أحست أن مايك يشعر بأنه متطفل فأغضبها شعورها هذا غضباً ودت لو تصبه على والده الأناني الذي اتخذ ابنه ضحية.

قُدم الغداء في غرفة طعام صغيرة مريحة، ملاصقة لغرفة الاستقبال وعندما انهوا وجبتهم أعلنت ميريل عن رغبتها في الإيواء الى سريرها، ثم تبعها الفايكونت مستأذناً لأنه مشغول باعمال مزارعه واراضيه، أما أنطوني وايلينا فقد دعوا مايك للقيام بنزهة على ظهر الجياد. فلم يبق بعد رحيل الجميع إلا يونا وماري التي قالت مبتسمة:

- فلنعد إلى غرفة الاستقبال، لنتناول القهوة وندخن السكائر بهدوء.

سألت يونا فجأة:

- هل نقلت ميريل اليك رسالة أخيك؟

- من اوسكار؟ لا.. أية رسالة؟

أعادت يونا نص الرسالة، فاطرقت ماري، وتعابير وجهها متجهمة:

- شكراً يونا.. أتساءل ما الامر الآن؟

صمتت يونا عازمة على كبح لسانها الجامح، وقالت ماري:

- اخبريني.. أتعرفين شيئاً عن هيلين؟

تضرّج وجه يونا بشدة:

- لا.. اخشى أنني لا اعرف غير القليل عن زوجة اخيك. فلم يحدث أن قابلت أخاك إلا مرة واحدة.

- وما رأيك به؟

- لا أدري. إنه كما بدا لي شخصية نافذة مسيطرة.

- أجل.. انه كذلك. وهذه صفات مستحسنة في هذه الظروف.. مسكين أوسكار... حياته جحيم!

أرادت يونا أن تطلب من ماري عدم الحديث عن أخيها أمامها. فهي تفكر فيه كثيراً، ولا يجب أن تستمع لما تفضي به ماري الآن فقالت لتغير دفة الحديث.

- إن منظر الوادي الذي رأيته من نافذة غرفتي مذهل. وعليّ أن أعترف أنني لم أمر بتجربة تفوق إثارتها الإثارة التي ولدتها هذه الرحلة.

نظرت إليها ماري بدهاء.. وسألتها بوقاحة:

- إذن.. أنت لست مهتمة باخي؟

تنهدت يونا وأطرقت الى الارض، ثم رفعت رأسها لتقول ببساطة وصراحة:

- بلى.. أنا مهتمة به إلا أنني أرى أن من غير اللائق بحث شؤونه الخاصة معي.

- ولماذا؟ أكان مايك يحذرك من الشبح الرهيب الذي يزعج عائلة ديسموند؟

- وكيف عرفت؟

ضحكت ماري، ولو بحزن بسيط:

- مايك يبالغ في كل شيء. أما ميريل فتطرز حواشي القصة

كالعادة. أخشى أن مخيلتها الخصبة تتخطى الحدود أحياناً. انظري ماذا فعلاه بك؟ إنك تخشين حقاً مجرد معرفة القصة.

جعلت هذه الكلمات يونا تبتسم فهذه المرأة كأخيها تحب ضرب الحديد وهو ساخن.

تحولت بسمة ماري الى الخشونة:

- أرى من تعبير وجهك أنني على حق. أتعرفين ما هي الحقيقة؟ إن زوجة أخي بكل بساطة مدمنة على المخدرات.

حدقت يونا إلى ماري صامتة مذهولة تحس بالبرد، فقد تخيلت كل شيء إلا هذا. لقد ظنت هيلين مجنونة، أما أن تكون منحرفة فأمر لم تفكر فيه قط. هي لا تنكر أن ذلك لا يبرر تصرفات أوسكار في الحياة إلا انه على الاقل يفسر معاملته المستأسدة للنساء.

استرخت ماري على مقعدها ونفثت دخان سيكارتها:

- ها أنت أخيراً على اطّلاع. إنها في عيادة خاصة لمعالجة الادمان، لتتعافى من آخر نوبة لها. لقد سئمت حين عرفت أن ما يطلبه أوسكار المنزل والعائلة. كانت تتوقع حياة من نوع آخر. أرادت أن تبقى في دوران دائم في حياة اللهو مسافرة من مكان إلى آخر مع ارتابها، وهذا ليس بعيداً عن الفسق والمجون. لقد أحبت هذه المرأة تحلق الرجال حولها. ومن سخرية الاقدار أنها بانحلالها وفسادها، دفعت أوسكار، بعدما آلت إليه، إلى الحياة التي كانت تريدها له. لقد انفصلا بعد أن أصبح أوسكار رئيس مجلس إدارة الدار.

- وهل ستشفى؟

- إن حاولت فقد تشفى ولكن هذا ما أستبعده، فهي لا تخضع للعلاج إلا لأن أوسكار يصر عليه ولأنه من يدعمها، وجماعة من المتطفلين مالياً.

- إذن هذا السبب الذي جعلني لا أسمع عنها خيراً.

- أجل.. انه سرّ دفين لا يذكره أوسكار أبداً.

هزت يونا رأسها:

- هذا ما لا يصدق! كيف يسأم إنسان يملك كل ما تشتهيه نفسه ويصبح على هذا الحال؟

- يسعدك المال ما دمت تجيدين استخدامه... حسناً...

هزت يونا كتفيها بتعجب ثم سحبت نفساً عميقاً من سيكارتها وقالت:

- فهمت.. أظنني أسأت الحكم على أخيك.

- صحيح؟ ربما يستحق بعض النقد لأنه أصبح كثير الظنون والشكوك بالنساء خاصة وما السبب إلا هيلين.

- أتعيش في نيويورك حالياً؟

- لا.. بل في بريطانيا حيث العيادة الخاصة التي تعالج فيها تقع في لندن.

- أوه.. ألهذا يمضي معظم أوقاته هناك؟

- لا أظنه يقضي هناك مدة أطول من المدة التي يقضيها في أي مكان آخر في العالم.

- أيعرف مايك شيئاً عن وضع أمه؟

- أجل.. يعرف.. وهو لا يراها أبداً لأنها لا تهتم به أقل اهتمام بل أظن أن أوسكار لا يهتم به أيضاً.. أتفهمين ما اقول؟

- أمر محزن.

- محزن؟ أظنه كذلك بالنسبة لأوسكار ومايك. أما بالنسبة لهيلين.. حسناً.. من يعلم؟ تبدو كأنها لا تهتم بمن تؤلمه وهي تدور في دائرة مجونها.

حين عاد الأولاد، كان موعد تقديم الشاي قد أزف فاعتذرت ماري لأن عليها مراقبة آخر تحضيرات حفلة العشاء. وأرادت يونا استكشاف الحدائق، فخرجت من أبواب غرفة الجلوس الزجاجية إلى الشرفة ومنها هبطت الدرجات الحجرية واتجهت نحو البحيرة الاصطناعية.

كان الجو هادئاً لا تقطعه إلا زقزقة العصافير التي بدأت تعود إلى اعشاشها استعداداً لحلول الظلمة.

بعد فترة غير بعيدة برد الجو وبدأ النسيم الناعم يميل الأشجار يميناً وشمالاً فتساءلت عن حال القصر حين تهب عاصفة هوجاء خارجاً. ما أروع الإحساس بالأمان والسلامة داخل جدرانه الحجرية الرمادية حين تمزّق العاصفة كبد السماء، وتحني أشجار الصنوبر وتلوي أشجار السرو الباسقة.

عادت الى القصر فوجدت مايك المرتدي ثيابه استعداداً لحفلة العشاء متمدداً على أريكة، بيده جريدة إيطاليا، فقالت يونا.

- رائع.. ما أذكاك!

رفع رأسه مبتسماً، فوجدت يونا أنها تستجيب ببسمة. إنه يشبه والده حقاً وهذا الشبه جعل قلبها يخفق. فجأة أدركت أنها لم تفكر في رايز إطلاقاً طوال اليوم إذ انصب اهتمامها على أمور أخرى.

حالما صعدت إلى غرفتها، تناهى إليها صوت ميريل القادم من الحمام الذي يفصل غرفتيهما فخلعت ملابسها وارتدت روباً خفيفاً ثم تقدمت إلى الخزانة لتناول الثوب الذي سترتديه الليلة في الحفلة.

ما أسهل الإدمان على هذا النمط من الحياة.. الإدمان! الإدمان! لماذا بحق الله استقرت هذه الكلمة في ذهنها. فهذا آخر ما تريد التفكير فيه وهي عازمة على إزالة كل أثر لأوسكار ديسموند من أفكارها.

دخلت ميريل غرفة يونا في الوقت الذي كانت تمرر فيه المشط الأخير في شعرها.. فتوقفت مذهولة وهي ترى مظهر يونا الفتّان.

- من أين لك هذا الثوب يونا؟

انتفضت يونا.

- لماذا؟ هل فيه خطب ما؟

- أبداً.. إنه رائع عليك... ولكن مظهرك أذهلني... تبدين رائعة يا عزيزتي.

ضحكت يونا:

- شكراً لك.. وانت رائعة أيضاً.

نزلتا معاً فوجدتا جماعة من الناس في غرفة الاستقبال، التي تم توسيعها بإبعاد الأبواب المنزلقة إلى جانبي الغرفة التي اتسعت بشكل واضح.. ذعرت يونا عندما رأت وجوهاً غريبة عديدة أمامها، وكان على ميريل دفعها إلى الامام لتحثها الى حيث وقفت ماري مع روماندو.

بعد أن تم التعارف وجدت يونا أنها تضيع بين مجموعة من الاسماء الغريبة، بعضها بدا غير مفهوم وصعب اللفظ.

ظهر مايك بعد قليل إلى جانبها فهمس:

- ما الأمر حبيبتي؟ هل أنت بحاجة إلى صديق تمسكين بيده؟

ابتسمت يونا:

- يجب أن أعترف أنني أجد ما حولي مرعباً.

- لماذا؟ إنك فاتنة فتنة تدفع معظم النساء إلى معرفة من انت وماذا تعملين. ولكن إياك أن ترضي فضولهن، فليتكهن ما شاء لهن ذلك. ولكن حافظي على غموضك المثير للعجب.

فهتت يونا غضباً عنها ولكنها توقفت فجأة لأن ضحكتها جذبت اهتمام الجميع تقريباً وجعلتها تحمر خجلاً لم يهجر وجنتيها إلا بعد أن توجه الجميع إلى المائدة، ستتمكن وهي هنا من إشغال نفسها بالطعام ونسيان أي شيء آخر. وما جعلها تشعر بالراحة أن مايك جلس إلى يمينها بينما جلس إلى يسارها رجل يجيد الانكليزية.

طالت فترة العشاء حتى تمنت يونا لو ينتهي علماً أنها شعرت بالإثارة من مقابلة هذا الحشد الذي كان معظم أصحابه ممن يحمل لقباً لنفسه ولعل ما أضجرها هو تحدثهم بالإيطالية فلولا استخدامهم تلك اللغة لشعرت بمزيد من المتعة كما حدث مع ميريل التي تتقن عدة لغات.

قدمت القهوة في غرفة الاستقبال فأشعل المدخنون السكائر

والسيكار اللذيذ الرائحة. تقدم مايك منها قائلاً:

- تبدين سئمة تماماً.. فهل بدأ جونا المبهرج يخبو بريقه؟

- بالطبع لا.. ولكنني أحس انني لست في مكاني الصحيح هنا.

- لا تكوني سخيفة.. على كل الأحوال، سيبدأ الرقص في قاعة الرقص بعد قليل وعلى ما أعتقد أن الشبان سيشاركون فيه أما الكبار فسيلعبون الورق.

- وماذا يلعبون؟ البريدج؟

- أتمزحين؟ لا.. ليس البريدج ابداً.. ربما نوع من أنواع القمار.

- أوه.. أحس حقاً أنني ساذجة.

ضحك مايك:

- انت فقط فتاة طيبة القلب، زُج بها في مجتمع يبدو لها مختلفاً غريباً ولكن ستعتادين عليه.

- أشك في هذا كثيراً.

بعدما تركها مايك راحت تحتسي القهوة ببطء وهي تفكر في التسلل بطريقة ما لتتجنب ما تبقى من السهرة.. فقد أحست بالوحدة والغربة. فهي رغم التسلية التي يوفرها لها مايك، تفضل قضاء ما تبقى من السهرة في فراشها بصحبة كتاب تقرأه.

نهضت من مكانها لتقطع الردهة الخارجية باتجاه الدرج حين تناهى إليها صفقة باب سيارة أعقبها وقع أقدام ترتقي الدرج الامامي، فصرير باب انفتح على مصراعيه دون تردد ليدخل رجل جمّد يونا في مكانها وسمرها. شعرت بساقيها تتحولان إلى سائل مائع لم تستطع معه إلا التحديق فيه دون حراك.

أغلق الباب خلفه بهدوء، ودنا بكسل منها:

- ما بكِ؟ هل أنت على ما يرام؟

اشتعلت وجنتاها حياء وقالت بصعوبة:

- طبعاً أنا على ما يرام.. لقد أخافتني رؤيتك سيد ديسموند..

فأنت آخر من أتوقع رؤيته هنا.

وقف أوسكار ديسموند منفرج الساقين يداه في جيبي معطفه الذي يكشف عن بزة تحتها قميص شديد البياض، حتى اعتقدت يونا أنه يمثل القوة والنفوذ والجاذبية. أحست بالعجز فمشاعرها نحوه باتت بطريقة ما محسوسة، وهذا مثير للإشفاق.. لذا راحت تكرر بشراسة: رايز! رايز! لا يجب أن تفكري إلا في رايز!

- أتتمتعين بوقتك؟

- أنا.. أنا..

- أم كنت تتسللين إلى غرفتك؟ إن عقدة الذنب تعلو وجهك.

هذا صحيح، إنما ليس بسبب ما ذكر بالتحديد.. فجأة استحوذ عليها دافع مجنون إلى الضحك ولكنها قالت بهدوء:

- حسناً.. في الواقع، أحسست أنني غريبة فلا انتمي إلى هذه الاجواء كميريل المعتادة على هذه الطبقة الراقية وإن كانت لا تختلط بهم دائماً.

صرف اوسكار ديسموند النظر عن احتجاجها:

- هذا هراء.. إن مرد ما تشعرين به وجودك بين غرباء. ألا تتكلمين الايطالية؟

- ليس كثيراً.

- هذا هو السبب إذن ولكن لا بأس عليك. فأنا هنا الآن، وبإمكانك التحدث إليَّ.

- لا أستطيع التفكير في ما قد نتحدث فيه.

- ألا تستطيعين؟ حسناً، هذا أمر مثير للاهتمام.. ويجب علينا أن نجد أمراً مشتركاً.. ما رأيك بالكتابة؟ من المؤكد انه موضوع يهمك، فأنت تعملين مع مؤلفة، وأنا اهتمّ بالكتابة فقد عملت في الصحافة منذ أمد بعيد وعلى الأرجح قبل أن تولدي.

في تلك اللحظة خرج روماندو من غرفة الاستقبال وكأنه عرف أن

شقيق زوجته قد وصل، فقد تقدم إليهما يمد يده وابتسامة ترحيب تعلو وجهه.

- أوسكار! ما أروع رؤيتك من جديد! ما هذه المفاجأة.. لقد عرفنا من خلال ميريل ومايك أنك لن تستطيع المجيء في مثل هذا الوقت.

بدت السخرية الخفيفة على اوسكار!

- أجل.. هذا صحيح. ولكنني عدت فغيرت رأيي، إذ رأيت في العطلة إفادة كيف حالك روماندو؟

أحست يونا مرة أخرى بأنها شخص ثالث غير مرغوب فيه، فراحت ترتقي الدرج حتى أوقفها صوت أوسكار ديسموند:

- عودي إلى هنا يونا. أريد أن أتحدث إليك في ما أنا أتناول الطعام. أعتقد انني استحق وجبة. أليس كذلك روماندو؟

- بالطبع.

غير أن يونا لاحظت أن روماندو ينظر إليها بغرابة.. يا الله.. أيتصور أن هناك شيئاً بيني وبين أوسكار..! أوه بالطبع لا! ولكنها ذعرت من نفسها لأنها تفكر فيه كأوسكار.. يا إلهي لقد خرجت عن طوري وأكاد أغرق مع مضي الثواني.

قالت بحزم:

- أفضّل الذهاب إلى غرفتي.. شكراً لك.

كانت عينا أوسكار المثبتتين عليها تخبرانها أنه يعرف شيئاً عن الصراع الذي تعانيه، وأنه يتعمد إثارتها.

- لا تكوني سخيفة. لم تكد تبلغ الساعة التاسعة.. هيا تعالي.. سأريك من القصر قسماً لا يراه الضيوف أبداً.

لم يعد أمامها خيار سوى اللحاق به، فلو رفضت لجاء رفضها فظاً هذا عدا عدم قدرتها على إغضابه ولو من أجل ميريل... أوه ميريل، أرجوك اظهري الآن وانقذيني قبل فوات الاوان.

تركهما روماندو ليطلب من الطباخة إعداد مائدة لأوسكار.. فلم تمض إلا لحظات حتى أعدّت طاولة المطبخ الخشبية التي وضع عليها وليمة تليق بالأمراء: لحوم باردة وسلطة على مختلف أنواعها هذا عدا اللحم المقلي والمحار والفاكهة الطازجة.

تركتهما الطباخة بعد أن تأكدت انه لا يحتاج أي شيء آخر. فقال ليونا:

- اجلسي!

أطاعت متنهدة ثم قالت:

- اسمع سيد ديسموند.. استنتج صهرك ما ليس موجوداً فليتك تزيل أوهامه في اسرع ما يمكن. أنا هنا سكرتيرة لميريل لا رفيقة لك.

رفع رأسه إليها ضاحكاً، ثم غرز أسنانه البيضاء في فخذ دجاجة طري وقضم منه قضمة وعيناه مستقرتان عليها حتى تمنت لو أنها بعيدة عن هذا المكان.. كان تفرسه فيها ليس بعيداً عن مهانة يوجهها إليها..

فصاحت به:

- بالله عليك توقف عن هذا!

- لماذا؟ ألا تحبين أن ينظر إليك الرجال؟

- ليست هذه هي المسألة.. فأنت لا تنظر اليّ.. إنّما..

- حسناً.

كان وكأنه يحسب كل حركة يقوم بها بغية ازعاجها وقد نجح في مسعاه فعلاً. أيعي حقاً ما يفعل أم أنه بكل بساطة يحاول مصادقة امرأة من نساء بلاده؟ بدت الفكرة الأخيرة مستحيلة.. فهو ليس ممن لا يعرف جاذبيته.

قال لها فجأة، وهو يقضم خوخة ذهبية اللون:

- اخبريني.. ما رأيك بمايك؟

سرّها تغيير الموضوع، فقالت:

- يعجبني.. ولكنه طفل مستوحش وحيد.

ـ وحيد؟ صحيح؟ لم أفكر في هذا من قبل.

ـ حسناً.. إنه أنضج من عمره حتى يكاد لا يعرف ما هي الطفولة التي يفتقدها.

ـ حقاً؟ وهل تسمح خبرتك الواسعة بالحياة إدلاء آراء كهذه؟ اعني.. كونك امرأة مجربة.

وقفت على قدميها وصاحت بمرارة:

ـ انت تهوي إهانتي.. أليس كذلك؟ حسناً لن أسمح لك بعد ذلك. ولكن لدي كلمة لا بد من قولها وهي أنك في انغماسك في شهواتك نسيت التفكير في ولدك.

ران فجأة صمت مطبق لم تقطعه إلا تكتكات ساعة المطبخ، واصوات الموسيقى الخفيفة المنبعثة من قاعة الرقص. أحست يونا بالفزع.. ماذا قالت؟ كيف تجرأت على مكالمته بهذه الطريقة؟ ماذا يظن بها الآن؟

وقفت تنظر إليه مترقبة انفجار القنبلة. رأته يقف ويستدير حول الطاولة باتجاهها حتى وصل إليها فوقف على مقربة شديدة منها ثم تمتم وفي عينيه لمعان:

ـ اذن.. هذا هو رأيك.

ـ أنا.. أنا.. أعتقد.. أن عليّ الاعتذار.. فلا شأن لي بحياتك ابداً.

داعبت أنفاسه وجهها، فرغبت في الابتعاد الى مكان بعيد قدر استطاعتها.. هذا أمر خطير، خطورته بارزة بأحرف من نار.

ـ أتعلمين ما كان سيحدث لو أن شخصاً آخر قال ما قلته؟

رفعت رأسها إليه وقالت متأوهة:

ـ أوه.. يا إلهي!

فجأة انفتح باب المطبخ فالتفت أوسكار ليواجه ميريل التي نظرت نظرة سريعة إلى يونا فأدركت أن سكرتيرتها تشعر بالذنب.

ـ إذن انت هنا يونا.. كنت أبحث عنك.

رد أوسكار ساخطاً:

ـ إنها آمنة هنا.

وعاد إلى الجلوس على كرسيه دون أن ينتظر رداً من ميريل لكنها قالت بهدوء:

ـ هكذا إذن.. حسناً يونا.. ألست قادمة معي؟

نفضت يونا عن نفسها الجمود الذي استحوذ عليها:

ـ طبعاً ميريل. أنا آسفة لأنني غبت عنك، ولكن السيد ديسموند سألني أن أرافقه.

ـ حقاً؟ أخبرني روماندو بأمر وفودك. فإلى من يا ترى يرجع الفضل؟ لقد فهمت أن ماري كانت تحاول إقناعك بالمجيء إلى هنا منذ أشهر طويلة، دون أن تنجح في مسعاها.

رد ببرود:

ـ أستطيع القول، إن ترحيبك بي غمرني.. يا عزيزتي لا تنزعجي على هذا الشكل، فحملك المدلل لن تصيبه يداي بأذى.

ـ أوسكار.. رجاء! لا أفهم ما ترمي إليه.

ـ ألا تفهمين؟ حسناً.. ربما أفضل.

ثم حوّل بصره إلى يونا التي تمنت لو أن ميريل لم تصل الآن، فهي تشعر بأنه مهتم بها اهتماماً لا تعرف إن كان جسدياً أم مادياً.

سمعته يقول بخشونة وفظاظة:

ـ هيا اذهبي من هنا.

توجهت يونا إلى الباب وهي تنظر إلى ميريل، التي ركزّت نظرها على أوسكار لحظات قبل أن تهز كتفيها. قالت ميريل ليونا:

ـ أجل.. هيا اذهبي، أريد التحدث الى أوسكار.

بعد أن دخلت ميريل المطبخ أغلقت الباب وراءها.. فالتفت إليها:

ـ ادخري لنفسك محاضرتك لأنني أعلم ما ستقولين.
ـ أتعلم؟ حسن إذن. لن أزعج نفسي بالقول.
ـ لا.. فلن يكون ضرورياً.
أشعلت ميريل سيكارة، ثم جلست على المقعد الذي كان يشغله وسألته فجأة:
ـ لماذا جئت الى هنا إذن؟
ـ حدث شيء ما.. وأردت رؤية ماري.
ـ ألم تستطع الانتظار؟
ـ كنت قادراً على الانتظار يومين. لماذا تسألين؟ أمحرّم عليّ المجيء إلى منزل شقيقتي لأنك هنا؟ لا أفهمك ميريل وأنت من ظننتها تولينني اهتمامها. أما الآن وبعد هذا الاستجواب، فأتساءل عما تفكرين فيه؟
جعلها كلامه تضطرب ولكنها ردت بهدوء:
ـ إذا كنت أتصرف عكس ما عهدتني فما ذلك إلا لأنني أريد أن أبعد عن يونا الألم. فأنا أعرف أنك في السنوات الأخيرة كنت عديم الضمير فيما يختص النساء. ولكنني لا آبه ما دمت تتصرف بتلك الطريقة مع من هن على شاكلتك من الرخيصات القذرات أما والأمر يتعلق بيونا البريئة فأعارض.. فأنت بادئاً ذي بدء أكبر منها بكثير ورغم كرهي لذلك الجرو الصغير الذي ألزمت نفسها به، إلا أنني أفضل أن تتزوج منه وتعيش حياة رتيبة على أن تصبح إحدى نسائك!
عض أوسكار على سيكاره بغضب.
ـ ما الذي يجعلك تظنين أنني مهتم بيوناكِ؟
ـ حسناً! ألست مهتماً بها؟
ابتسم ابتسامة متجهمة:
ـ حسناً.. أجدها جذابة ومتعشة بشكل غير عادي وساذجة هذا عدا سحرها وفتنتها.

ـ أرأيت!
أبعد السيكار عن فمه وقال بصوت خفيض:
ـ لدي شيء من القدرة على ضبط النفس. أتعلمين ذلك؟
ـ أجل أعلم.
ـ جيد.. فالموضوع بدأ يضجرني.
نظرت إليه بدهاء:
ـ الأمر سيّان.. فأنت معتاد على تنفيذ ما تريد.
ـ ضمن المعقول.. فأنا لست من افتعل ما حصل لزوجتي...
ـ كيف حالها! أرأيتها مؤخراً؟
ـ أجل.. رأيتها.. أظنها تسير نحو الافضل فقد تخرج من المصح صيفاً.
ـ هكذا اذن... اوسكار، لماذا لا تطلقها؟
سحق سيكاره على حائط الموقد.. ثم قال بهدوء:
ـ أتتخلين عن شخص في مرحلة انكساره؟
ـ لا.. ولكن الحال ليس كذلك بينكما.. إنها ليست مخلوقة بريئة تسيء معاملتها.. ألم تدخل إلى هذا الدرك بقدميها؟
هز رأسه متمتماً:
ـ لا أظن ذلك، فما من إنسان قد يفعل هذا بإرادته، لأنه حين يقع في مغبة عمل كهذا يكون الوقت قد فات.. لذا، كما ترين، إن هيلين أرادت أن تجرّب فأوقعت نفسها في ما وقعت.
هزت ميريل رأسها:
ـ وماذا عن عودتها إلى الادمان بعدما شفيت شفاءً تاماً؟
ـ ما من أحد يشفى شفاءً تاماً... تذكري دائماً أن المدمن يبعد خطوة واحدة عن الادمان. وهذا هو حال هيلين التي لم يعد لديها القوة على المقاومة.
ضحك دون رحمة:

ـ أوه ميريل.. ألديك فكرة عما تبدو عليه اليوم بالمقارنة بما كانت عليه. أتذكرين يوم زفافنا؟ أتذكرين جمالها؟ انها الآن عبدة العادة.. تضيع عيناها هنا وهناك حين تتحدثين إليها.. إنها نحيلة كالعود، شاحبة كالتبن.. إذ تكاد لا تأكل.. إنها مجرد كتلة من الاعصاب.. فكيف تطلبين مني أن أطلقها؟

ـ اذن.. ما زلت تحبها؟

ـ حب؟ يا إلهي.. لم أعد احبها! بل أشفق عليها. لقد قتلت المشاعر التي أكنها لها منذ سنوات طوال. لقد مات حبي حين عدت من رحلة عمل قبل اثنتي عشرة سنة فوجدتها في الفراش مع..

وصمت متألماً.. ثم هز كتفيه دون اكتراث:

ـ ما من أحد يعرف هذا! أما ماري فأظنها تكهنت ذلك لأنها كانت تعرف ما يجري في غيابي ولكنها لم ترغب في أن أعرف ذلك من خلال الأقوال.. كانت تعرف أنني سأكتشف أمرها بنفسي.. وهذا ما حدث! يا إلهي.. لقد خرجت يومذاك من البيت كالمجنون! لأنني لو بقيت لخنقتها!

ـ لماذا لم تطلقها في ذاك الوقت إذن؟

ـ بسبب مايك الذي لم يكن سوى طفل صغير... ظننت وكنت مخطئاً في ظني أنه سيكون أفضل حالاً مع أمه. وما أشد ما كان عليه خطئي! فحين أخذته منها لم تعرف حتى أنني اخذته. إذ بقيت غائبة عن الوعي ثلاثة أيام متواصلة وطفلها مع خادمة اعتنت به حتى عدت إلى المنزل.

أحست ميريل بدوار وغثيان، ثم سألت:

ـ كم كان عمره حينذاك؟

ـ سبع سنوات. وأخشى أن رأيه بأمه وضيع.

ـ وهو على حق في ذلك... آه أوسكار.. كنت لطيفاً رقيقاً معها.. كان يجب أن تطلقها منذ سنوات.

ـ ولماذا ما دمت لن أتزوج ثانية. إذ كيف أزج نفسي في هذا العذاب ثانية؟.

ـ قول سخيف أوسكار... لا تخرج جميع النساء عن سكة الحياة القويمة. إن هيلين غير طبيعية.

ـ أتظنين انها فريدة من نوعها؟ أؤكد لك أنها ليست الوحيدة. ففي المصح الذي هي فيه حالياً عدد لا يحصى من النساء اللاتي لم يكتفين بأزواجهن.

ـ أعلم.. غير أن الفتاة الطبيعية...

رفع أوسكار يده:

ـ أفكر جاداً في شراء جزيرة في الانديز لأتقاعد فحياة الاسترخاء والكسل ستناسبني.

ـ لن تفعل هذا أبداً لأنك متعلق تعلقاً شديداً بعملك.

ابتسم اوسكار:

ـ أنت تقريباً على حق. ففي الوقت الراهن، أجد في العمل خير مهدىء.

ـ أوه يا أوسكار.. ليتني أستطيع القيام بما يساعدك.

رفع أوسكار كتفيه، ثم تناول علبة سيكار فتحها ثم قال:

ـ إذا كنت جادة في قولك فهناك ما تستطيعين مساعدتي به.

ـ ماذا؟

ـ إني أرى أن مايك قد تجاوز عمره واللوم واقع على كاهلي. فهو لا يحظى بجو يجعله يعيش عمره فهو حتى في المدرسة، كما قيل لي، منطوٍ على نفسه، فما رأيك لو تقضين معه شهراً كاملاً على متن «إلسي ولف».

ـ يختك؟

ـ طبعاً.. يمكنك الكتابة هناك كما تفعلين في منزلك تماماً. إنه الآن يرسو في منتجع قريب من ميامي.. المكان رائع في هذا الوقت من

السنة، واليخت مجهز ليعيش فيه ثلاثة اشخاص، انت ومايك والآنسة تولان.

عبست ميريل في وجهه:

- أوسكار!

تأوه اوسكار:

- بالله عليك ميريل.. لن أكون معكم. لا أطلب هذا المطلب إلا من أجل مايك فقط. سأسافر إلى لندن في الاسبوع المقبل ولذلك جئت الآن لأرى ماري عوضاً عن الانتظار حتى نهاية الاسبوع.. فسأغيب بعض الوقت ومن المتوقع عودة مايك الى المدرسة بعد اسبوع لكنني سأتصل بهم وأؤخر عودته دون تحديد أوانها ذلك أنني غير راض عن تأخير أمر تأهيله نفسياً حتى الصيف، فهو ينمو بسرعة كما ذكرت يونا الصغيرة التي ستتخذه رفيقاً مثالياً.

- اوه أوسكار، لماذا لا تبعث معه مربيته وابنَيْ عمته اللذين يشكلان بالنسبة له رفيقين مثاليين.

- لا أوافقك الرأي. فهو لا يتفق كثيراً مع انطوني وايلينا. أنسيت أنه لم يرغب في زيارة عمته واعتبرني أهمله؟

- أنت تهمله فعلاً.

- حسناً.. ولكنني لا أستطيع تغيير خطط عملي فجأة.. يجب أن أظل في سفر دائم.

ترددت ميريل... كانت ممزقة بين رغبتها في مساعدة مايك وأوسكار، وبين قلقها على يونا التي بدا بوضوح انجذابها إلى أوسكار.

سألته بدهاء:

- إذا وافقت على الذهاب فهل ستظهر لنا في نهاية كل أسبوع متوقعاً منها الترحيب بك وتسليتك.

ابتسم:

- لا.. إن وافقت أبتعد.

- ربما هذا خير لك علماً أن مايك قد يتساءل عن سبب امتناعك عن زيارته.

- لن يسأل إذا عرف أنني مسافر.

- حسناً.. ما زلت مترددة، فعلي أن أسأل يونا فقد لا يوافق خطيبها على سفرها هذا.

- يا للجحيم.. كدت انساه.. حسنا.. إن لم تستطيعي الحصول على موافقتها فعلينا الإذعان.

ضحكت ميريل:

- لا تظهر بمظهر الشهيد المعذب، فانت تعرف أنني إن استطعت أصطحبه... ويبدو أن يونا تحبه كذلك. لاحظت أثناء قدومنا إلى إيطاليا أنهما على وفاق تام.

فك أوسكار زر قميصه العلوي، وتمتم:

- جيد..

ولمّا رأت ميريل أن التفكير لم يبرح عينيه وجدت نفسها تتمنى لو أن الحياة ليست مجرد أمر يخضع للقضاء والقدر.

* * *

٦ ـ نار ودخان

لم تشاهد يونا أوسكار ثانية قبل رحيلها الى روما في الصباح التالي، رغم أن عينيها ظلتا تبحثان عنه حتى والحقائب تحمل الى السيارة. . كانت آسفة لأنها تركت مايك الذي سرعان ما عاد إلى قوقعته ولا مبالاته، وكان عليها أن تعترف بأن انطوني وايلينا ولدان لطيفان، ولكنهما قطعاً أصغر من عمرهما لذا لا بد أن مايك يشعر معهما بالتوتر المضاعف. ليتها لم تثر في وجه أبيه كما فعلت لأنها كانت ستستطيع عندها أن تقول له إن ابنه بحاجة إلى محيط مختلف عن هذا الذي يحيا فيه حالياً، محيط يسترخي فيه، ويتصرف بشكل طبيعي، دون أن يحس بأنه مراقب ممن هم أصغر أو أكبر منه سناً.

عندما قالت ميريل لها إنهما مسافرتان مباشرة الى نيويورك قبل الاثنين دهشت:

ـ ولماذا؟ أتريدين العودة إلى عملك؟

ـ لا. . أبداً. . بل هناك يا حبيبتي ما أريد أن أطلبه منك.

ـ أرجوك ميريل، لا تذكري أمامي ثانية أوسكار ديسموند.

ـ أنت مخطئة يونا إذا ظننت أنني سأتعبك بالحديث عنه، لقد فعلت ما عليّ فعله وفشلت معك.

ـ أوه. . ميريل!

ـ حسناً لن أقول شيئاً عن هذا الموضوع بل إن ما أريد قوله قد لا يناسبك.

قطبت يونا:

ـ تابعي إذن. . كلي آذان صاغية.

ـ الأمر ببساطة: ما رأيك بقضاء شهر على يخت نمضي فيه أوقاتنا بين ميامي وجزر البهاما.

أصيبت يونا بالذهول، إذ لم تتوقع سؤالاً كهذا. . نظرت بفضول واستغراب الى مخدومتها:

ـ أنت تمزحين دون شك فلما أفعل ذلك أصلاً؟

ـ اصلاً. . لأن أوسكار طلب مني اصطحاب مايك إليه، أما الأمر الثاني فحاجتي إلى رفيقة وزميلة تلعب مع مايك.

لم تدهش ميريل عندما سمعت يونا تقول بسرعة:

ـ وماذا عن رايز؟

ـ هذا بيت القصيد. . ماذا عن رايز؟ فليس لدي أقل أمل بأن يوافق.

ـ بل قولي إن الأمل صفر. . آسفة ميريل. ولكن الامر لا يحتمل السؤال.

ـ همم. . ! لقد عرفت أنك ستقولين هذا. . امر مؤسف!

ـ إنما ما زلت حائرة. . . لماذا يريد أوسكار إرسال مايك إلى هناك برفقتنا؟

لاحظت ميريل أنها ذكرت اسم أوسكار بيسر، فتنهدت:

ـ حسناً. . لسبب ما، أدرك أوسكار فجأة أن مايك محروم من رفقة الصغار أمثاله وأنه يتحول شيئاً وشيئاً إلى قوقعة رهيبة إلا حين يكون برفقة أبيه، كما أدرك انه يحتاج إلى إبعاد الرتابة عن حياته وهذا ما أوافقه الرأي عليه.

ـ ورأيي أنا هو هذا أيضاً.

إذن لقد فهم ما قالته له!

ـ أمامك فرصتان ذهبيتان لفعل ما يساعد مايك: الأولى تخولك

مساعدة مايك والثانية تؤمن لك عطلة ممتعة. فماذا تطلبين أكثر من هذا يا فتاة؟

ـ اوه.. اعلم هذا ميريل. ولكن ما العمل ورايز لن يوافق. آه يا ليتني استطيع الذهاب!

ـ يبدو لي يونا.. انك وخطيبك تنجرفان بعيداً عن بعضكما بعضاً.

ـ وماذا تعنين؟

ـ تتمنين لو تسافرين رغم علمك بعدم موافقته يا عزيزتي لو كنت تحبينه كما تدعين، لما قدرت على التفكير لحظة في الابتعاد عنه..

ميريل على حق، وما السبب الا أوسكار ديسموند الذي فكرة البقاء مع ابنه باتت مرغوبة عندها أكثر من البقاء في نيويورك مع رايز.. صاحت يائسة:

ـ اوه ميريل.. أتظنين أنني لا احب رايز؟

ـ اسمعي يا ابنتي... ان حياتك ملك لك ولكن رغم يقيني من ان اتصالك بأوسكار ديسموند سينتهي بالاسى، إلا أنني أجد أن قضاءك حياتك وأنت تتوقين إلى الحرية أمر مقيت.. ليلة أمس ظننت أن رايز هو الحل الوحيد لمشكلتك أما الآن فما عدت واثقة.

تساءلت يونا بهدوء:

ـ أتظنين أن عليّ فسخ خطوبتي؟

ـ عليك أن تقرري الفسخ أم عدمه وحدك ولكن قبل ذلك اسألي نفسك هل أتزوج رايز لأنني أحبه؟ أم لأنه سيؤمن لي بيتاً؟ إن تيتمك ترك بلا شك أثراً في نفسك، وهذا الأثر جعلك عن غير وعي تصرخين طالبة الأمان.

ـ أنت على حق.. ولكنني اعتقدت أنني أحب رايز..

ـ إن كنت تحبينه فتزوجيه.

بدا الاضطراب على يونا التي قالت فجأة بتمهل:

ـ ربما.. لو رافقتك شهراً لتجلت لي الأمور... فما رأيك؟

ـ أ... جل.. ربما تعينك الرحلة على اتخاذ قرار. لو شرحت لرايز أنك ما زلت غير واثقة لوافق.

ـ أشك في هذا ومع ذلك سأسأله على أية حال. أجل سأسأله!

مساء الاحد، قصدت يونا منزل خطيبها فخاب أملها لأن السيدة هنتر كانت من فتح لها الباب.

ـ لقد عدت إذن إنما ليس قبل فوات الأوان.

ـ لماذا؟ ما الخطب؟

ـ لا شيء، إلا إذا اعتبرنا ذات الرئة عند رايز شيئاً.

ـ ذات الرئة! أين هو؟ دعيني أراه.

تجاوزت السيدة هنتر شاحبة، واتجهت نحو السلم، ولكن السيدة صاحت:

ـ لا تصعدي الى غرفة نومه.. فهذا غير مناسب.

التفتت إليها يونا وقد فقدت احترامها لها.

ـ مناسب؟ كلام تافه!

عندما دخلت إلى الغرفة أحست بالذنب يطغى عليها.

ـ رايز؟

ففتح عينيه!

ـ يونا! عدتِ؟ ماذا تفعلين هنا؟ ظننتك لن تعودي قبل الغد.

ـ عادت ميريل اليوم باكراً.. كيف حالك؟

ـ لا بأس، لقد أصبت برشح بسيط ليس إلا.

ـ ولكن أمك قالت إن عندك ذات الرئة.

ـ وإن كان الأمر كما ذكرت فهل كنت ستهتمين؟

أتاها صوت السيدة هنتر من الباب، فنهضت يونا عن السرير وقالت بوضوح بعد أن راح الغضب يحل محل الإحساس بالذنب:

ـ لا تكوني سخيفة.. لقد كان بصحة جيدة يوم الجمعة حين سافرت.

هزت السيدة كتفيها، وردت ببرود:

ـ ما أعرفه أنني كنت أراه «معاقاً» منذ رحيلك.

ـ معاقاً! ألست من أمره بملازمة الفراش لمرض بسيط كالرشح يا الله... إن الطقس رائع في الخارج والهواء المنعش النقي سينفعه أكثر من ملازمة الفراش حيث يستنشق جراثيم نفسه مراراً وتكراراً.

رد رايز متراخياً:

ـ شعرت بالمرض.

قالت الأم:

ـ بالطبع.. ولكن يونا التي لم تعرف عاطفة الأمومة يوماً لن تفهم ما شعرت حين وجدته ضعيفاً صباح السبت.

أحست يونا بالاختناق.. لقد طارت فرصتها إلى محادثته في مهب الريح، فتلك المرأة وإن تركتهما لن تستطيع مفاتحته بموضوع انفصال تجريبي... فتنهدت وقالت:

ـ هل لك أن تتركنا ورايز منفردين سيدة هنتر؟ لدي ما أقوله له.

عقدت السيدة ذراعيها، وقالت بلؤم:

ـ رايز لا يريد أن يتحدث كثيراً فحنجرته ملتهبة.

ضمت يونا قبضتيها:

ـ لن تستنفذ بضع كلمات قواه.

هزت الأم رأسها.

ـ قال الطبيب إن عليه الراحة والصمت.

جاهدت يونا للمحافظة على هدوئها:

ـ رايز.. ألا يمكنك أن تكلمني بضع كلمات؟

ابتسم رايز، وهز كتفيه عاجزاً.

ـ حسن حبيبتي.. ألا يمكنك الانتظار؟ أعني.. أنني لم أتوقع عودتك اليوم.

زفرت يونا نفساً، وهزت رأسها بأسى:

ـ حسناً رايز... ! هل لك أن تحدد لي موعداً لمقابلتك؟

بدا رايز قلقاً.

ـ لا تكوني سخيفة يونا.. تعالي غداً إذ سأكون عندئذ قد غادرت الفراش.

نقلت يونا طرفها بينهما مراراً.

ـ حسن جداً.. سأكون عندك غداً في السابعة والنصف إلا أنني أريد أن أراك وحدك. عدني.

قطب رايز جبينه.

ـ أهناك خطب ما؟

ابتسمت يونا بقسوة.

ـ انتظر حتى الغد لتعرف.

في اليوم التالي تلقت يونا مكالمة من والدة رايز تقول لها فيها إن زيارتها ستكون غير مناسبة اليوم، لأن كاهن الكنيسة المجاورة في ضاحيتهم يريد زيارته واللعب معه بالشطرنج، وإنها ببساطة ستحول بينها وبين أن ترى رايز... شكت يونا في أن يكون رايز على علم بما تخططه امه، ولكنها أحست أنها لم تعد تهتم. لذلك قالت إنها ستأتي مساء الثلاثاء، فهي عازمة على رؤيته.

قالت ميريل، بعد إن سمعت المكالمة، إن أم رايز تبدو قادرة على تدمير حياته لو ارادت، وإن على يونا أن تبحث الأمر معها عوضاً عن بحثه معه.

خرجت ميريل يوم الثلاثاء لتقابل وكيل أعمالها الذي تقصده عادة في مكتبه.. فكان أن تركت يونا وحدها تعاني من الحيرة.

ذلك اليوم تلقت بضع مكالمة وبضع مراسلات. بعد فترة طلبت من بلير أن تعد لها القهوة ثم جلست بانتظار القهوة تقرأ مجلة اجتماعية فيها صور لشخصيات مشهورة معروفة تحضر حفل غداء في فندق استوريا في الاسبوع الماضي، ووجدت نفسها تنظر إلى صورة أوسكار ديسموند

وهو برفقة عضو الكونغرس آشلي.

ارتجفت يداها عندما رأته فأسرعت تقلب الصفحة. يا للصدفة؟ فمن بين الناس جميعهم تظهر صورته هو أمامها، وكأنما القدر يتآمر لأمر ما بينهما.

رن جرس الباب، فنهضت يونا وفتحت الباب فإذا بها ترى من يشغل أفكارها في الباب.

هز لها رأسه ببرود وقال:

ـ هل ميريل موجودة؟

جمعت يونا شجاعتها المبعثرة.

ـ آه.. لا.. خرجت باكراً تقصد وكيلها.. ألن تدخل؟

مررت لسانها على شفتيها.. فتردد أوسكار، وقال ببطء:

ـ لا أعتقد.. أردت رؤية ميريل لأعرف ما إذا قررت شيئاً بشأن الرحلة؟

ـ إن الحديث عن الباب أمر سخيف. أرجوك ادخل.

عندما دخل بعد أن هزَّ كتفيه أغلقت الباب ثم راحت تفرك يديها وتسرع إلى غرفة الاستقبال. ما إن أصبحت في منتصفها حتى ظهرت بلير حاملة صينية القهوة.

ـ أوه.. هذا أنت سيد ديسموند! سأحضر لك فنجاناً آخر.

هزت يونا رأسها قائلة:

ـ افعلي هذا أرجوك.

وتقدمت نحو الصينية فصبت في الفنجان بعض القهوة وسألته:

ـ أتحبها مع الحليب؟

ـ لا.. بل سوداء.

أشارت إلى مقعد:

ـ أرجوك.. اجلس.

بعد أن جلس مادا ساقيه أمامه تناول منها الفنجان ثم أخرج

سيكاراً.

ـ أتمانعين؟

ـ أبداً.. تفضل.

أسندت نفسها إلى طاولة ميريل، ثم أشعلت سيكارة راحت تسحب منها أنفاساً قوية ليريح النيكوتين أعصابها المتوترة... فقال لها أوسكار قلقاً:

ـ نحن مؤدبان كثيراً اليوم. أليس كذلك؟

أحست بالحرارة تكاد تحرق وجنتيها فردت بهدوء.

ـ هذا لأننا تعاملنا بطريقة فظة في لقائنا الأخير.. الطقس بارد في الخارج اليوم، ألا تظن هذا؟

وضع أوسكار فنجان قهوته على الطاولة الصغيرة أمامه ووقف متردداً:

ـ لم تجيبي عن سؤالي.. هل اتخذت ميريل قراراً بشأن قضاء شهر على اليخت؟

ابتلعت ريقها بصعوبة:

ـ تقول إن رافقتها تذهب.

تنهد:

ـ كنت أعرف أن شيئاً كهذا سيحدث... وماذا قررتِ؟ هل ستذهبين؟

ـ لا أدري حتى الآن.

ـ هل سألت خطيبك؟

ـ ليس بعد.. سأراه الليلة. أما ردي فسيكون غداً.

ـ جيد.. فأنت تعرفين أن هناك اجراءات يجب إتمامها.

ـ أجل.. أعرف. سأعلمك قطعاً بقراري في الصباح.

هز رأسه ثم توجّه ببطء إلى النافذة ليتأمل المدينة الممتدة أمامه بتجهم. قال بصوت أعمق من العادة:

ـ أخبريني.. ألا يدفعك الفضول لمعرفة سبب قدومي إلى الشقة عوضاً عن الاتصال بالهاتف؟

ـ لا... أيجب أن يتملكني الفضول؟

ارتد عن النافذة وأسند ظهره إلى حافتها.

ـ اللعنة عليك.. أجل..

لم يستطع كبح غضبه، فنظرت إليه بحذر، وسألت:

ـ حسناً.. لماذا اذن؟

مضغ سيكاره قليلاً قبل أن يخرجه من فمه ليتأمل طرفه الأحمر المشتعل.

ـ حسناً... لأنني أردت رؤيتك.

نزلت يونا عن الطاولة بحدة، واستدارت عنه.

ـ عرفت.. أنك مسافر قريباً الى انكلترا.

ـ هذا صحيح... ولكنك تغيرين الموضوع... هل أنت خائفة؟

ضحك ساخراً ثم أردف:

ـ أيتها الفأرة الصغيرة!

واجهته بغضب:

ـ لماذا تهاجمني دائماً؟

فرد ساخراً:

ـ أليس هذا ما تفعله القطط مع الفئران؟ إن رؤيتك تغضبني وتسليني في آن.. هل تودين أن تنتقمي لنفسك؟

كان كالعادة على حق، ففي تلك اللحظة كانت تود الانتقام منه بتعذيبه جسدياً كما يعذبها عاطفياً..

ـ اعلمي أن سبب غضبك يعود إلى رغبتك الجامحة في رؤيتي وهي رغبة توازي رغبتي. أليس كذلك؟

انقطعت أنفاسها وكأنها كانت تركض مرتقية درجاً مرتفعاً.. ردت تحاول الحفاظ على هدوئها.

ـ لا أفهم من أين لك هذا الاستنتاج.

ـ ألا تفهمين حقاً؟ أليس هذا صحيحاً؟

ـ لا.. ليس صحيحاً.

لمعت عيناه بشكل خطير، وتمتم:

ـ اعترفي ولو لمرة واحدة أنني على حق.

أحست باعصابها مشدودة، فأحنت رأسها وردت:

ـ لا.. لا أستطيع.

تقدم أوسكار منها، ومد يده يرفع ذقنها بحيث اضطرت إلى النظر إليه. همس ببطء حتى كادت لا تسمع كلماته.

ـ أتساءل ما السبب... لست جميلة حقاً وأنت إلى ذلك صغيرة السن وساذجة.

ـ أرجوك سيد ديسموند.. أرجوك!

ـ اسمي أوسكار.. قوليه.

حدقت فيه مذهولة فأمرها بنعومة:

ـ اسمي.. قوليه!

همست دون وعي:

ـ أوسكار... أوسكار.

ـ أنا على حق.. ألست كذلك؟

ـ بشأن ماذا؟

ـ لعنة الله عليك... أنت تعرفين.

ـ لا أعرف إلا أنك رجل متزوج يجد فيّ ما يثيره ويحرك رغبته.

ـ أتظنين هذا؟

ـ طبعاً.. قالت ميريل..

ـ إلى الجحيم بما قالته ميريل. إن ما أعرفه أنني منذ قابلتك.. لم أذق طعم الراحة.

ـ ولكنني لا أرضى بعلاقة عابرة.

ترك ذقنها بخشونة آلمتها، ثم دسّ السيكار في فمه.

ـ أما أنا فأقبل... أتصور أن ميريل زرعت في عقلك انني أقبل أية امرأة ترضى بي.. ولكن ميريل تترك مخيلتها تجمح بعيداً... إنها عانس لذا هي خير حكم في أمور كهذه.

رفعت يونا يدها إلى شفتيها مستنكرة:

ـ أوه أوسكار... لماذا تكلمني عنها بهذه الطريقة؟

ـ لا أدري.. أعتقد أن كبريائي لن تسمح لي بقبول فكرة أن امرأة لا تجدني جذاباً.. وعلى كل الأحول أنا أصلح أن أكون لك والداً، أليس كذلك؟

ـ لا.. لكن معك... ربما.

أضحكه تلعثمها وجعل توتره يخف.

قال أوسكار:

ـ حسناً... ما دام هذا كل شيء فأظنني سأذهب. إذا قررت الذهاب مع ميريل فلا تقلقي من ظهوري بين الآونة والأخرى.

ـ حسناً... سأقول لميريل إنك جئتها زائراً.

ـ افعلي هذا، ولكن توقعي منها الذعر لأنك قابلتني وحدك دون رفيق.

ـ وداعاً سيد ديسموند.

ـ وداعاً آنسة نولان.

تجاوزها قاصداً الباب لكنه توقف فجأة:

ـ رائع.. لقد وصلت في الوقت المناسب لتشاهديني وأنا خارج ميريل.

أطلت ميريل من المصعد.

ـ لقد اعتنت بي سكرتيرتك القديرة، أعلمتني أنكما لم تتخذا قراراً بشأن الرحلة المقترحة.

ـ أهذا كل شيء؟

ـ تماماً... وداعاً ميريل.. وداعاً يونا.

ـ وداعاً سيد ديسموند.

وعادت يونا إلى الداخل، ثم لحقت بها ميريل بعد لحظة.

ـ متى وصل؟

ـ لا أدري... ربما ربع ساعة أو أكثر.

ـ هكذا اذن، ولماذا جاء؟

ـ لرؤيتي، وأنا مسرورة بهذا.. فقد تمكنت من وضع حدود مرضية لعلاقتنا لذا دعك من القلق بعد الآن.. فأظنني قادرة على التعامل مع السيد ديسموند بنفسي.

نظرت إليها ميريل بريبة.. لكنها لم تعلق بشيء... فلقد اعتقدت أن كلام يونا كلام طائش، إنما فكرت أيضاً أنه لا شأن لها في ما تختاره يونا لحياتها.

* * *

٧ ـ حرية يتيمة

قابلت يونا خطيبها مساء الثلاثاء كما هو مقرر... وقد حدث أن انتقلت عدوى الرشح إلى السيدة هنتر. حين وصلت يونا وجدته يحضر الطعام لأمه المستلقية في فراشها.

اخرجته يونا من المطبخ لتحضر لأمه بنفسها البيض المقلي وبعد وضعه على صينية مع ابريق شاي وقليل من التوست والزبدة، طلبت من رايز ان يحمله إليها حتى تعدّ شيئاً لها وله.

راح رايز يتذوق طعامها بلذة، وقال:

ـ يونا.. أنت طباخة ماهرة!

كان التعليق الطفولي يمثّل نفسية رايز.. فقالت له متعمدة:

ـ رايز... إذا غبت عنك شهراً بعد بضعة أيام.. ما أعنيه، أتمانع إن افترقنا شهراً؟

توقف رايز عن مضغ الطعام وحدق فيها مذهولاً، ثم قال بعدما أفرغ فمه:

ـ أنت تمزحين دون شك.

ـ لا.. لا أمزح.. المسألة كل المسألة أنني حائرة بأمرنا.

ـ وما الذي يحيرك؟

ـ تعلم أننا تجادلنا طويلاً بشأن شراء منزل خاص بنا. وهذا ما جعلني أتساءل ما اذا كان أحدنا يناسب الآخر.

شهق:

ـ لست جادة. نحن... نحن.. مخطوبان؟

ـ أعرف هذا.. ولا أريد فسخ الخطوبة، بل لن أفسخها إلا إذا وجدتك لا تترك أمامي مجالاً آخر. أنا في الوقت الحالي أريد فرصة لأفكر ملياً.

ـ فيم تريدين التفكير؟ إنها ميريل بولتون التي تسمم أفكارك وتحرضك علي، أليس كذلك؟

ـ لا.. لا.. لم تحرضني قط.. رايز ألم يساورك يوماً الشك في مستقبلنا؟

ـ بالطبع لا.. فأنا أحبك.. انت فتاتي!

تنهدت يونا لأنها وجدت الوضع أصعب مما تصورت.

ـ حسن جداً.. هل تأذن لي بالسفر مع ميريل شهراً؟

ـ السفر.. إلى أين؟

ـ يريد السيد ديسموند من ميريل اصطحاب ابنه بضعة أيام على ظهر يخته وذلك ليؤمن للصبي فرصة كسر الرتابة التي يعيش فيها..

أبعد رايز طبقه جانباً، فلاحظت أنه رغم استيائه ازدرد طعامه كله.

ـ أصبح ديسموند هذا فجأة شخصاً مهماً في حياة ميريل.. أليس كذلك؟

ـ أعتقد هذا.. اسمع رايز. لو قابلت مايك لفهمت السبب.

ـ يا رباه.. لا أدري كيف أفكر! ولا أعرف ماذا ستقول أمي؟

ـ أمك... يا ربي ما شأن أمك بهذه المسألة؟ أرأيت، هنا بيت القصيد. إن أمك تحكم حياتك وتديرها لك. فإن توقعت مني أن أوافق على أن تحكم حياتنا بعد الزواج فأنت مخطىء. لقد منعت لساني عنها كرامة لك ألا ترى ما تفعله بنا؟

استقام رايز في جلسته، ورد بوقار:

ـ يجب أن تدركي يونا أنني أحب أمي.. لا أحسبك تفهمين ما بيننا لأنه لم يكن لك أم.

تأوهت يونا:

ـ يا إلهي! أنت تتكلم مثلها الآن!

قطب رايز:

ـ لا أظن أن من اللائق أن تقولي هذه الكلمات عنها وهي راقدة مريضة في سريرها غير قادرة على الدفاع عن نفسها.

ـ حسناً.. أنا ذاهبة.

ثم هبت واقفة تسعى إلى معطفها الذي ارتدته بسرعة فقد أرادت الخروج من هذا المنزل في أسرع وقت ممكن.. تحرك رايز نحوها:

ـ انتظري لحظة الآن! لا يمكنك الرحيل هكذا.. ماذا ستفعلين؟

ـ أنا مسافرة مع ميريل.

وأحست بالدموع تكاد تخونها والكآبة تستولي عليها.

دس رايز يديه في جيبي بنطلونه مفكراً، ثم قال ويونا تزرر معطفها وتلتقط حقيبتها:

ـ حسناً.. ستندمين على قرارك هذا.

عضت على شفتها لتمنعها من الارتجاف:

ـ أشك في هذا... هاك خاتمك.. سأتركه معك حتى تقرر أمك إن كان يجب فسخ الخطوبة.

ـ لكن يونا..

ـ لا.. لا تقل شيئاً.. فهذا ما أتوقعه منها.. ولكن اذا أردت حقاً رؤيتي بعد رجوعي فاتصل بي، لمناقشة المسألة في حينها.

بدا العناد والتصلب على رايز:

ـ إن خرجت من هذا الباب دون خاتمي فالأمر بيننا منته.

ردت ببرود:

ـ حسن جداً رايز! إن كان هذا ما تريد فماذا أقول.

ذعر رايز.. لأنه لم يتوقع منها أن تكون راضية عن القرار هكذا. بل توقع منها التراجع والتوسل ليمنحها الغفران..

صاح بها:

ـ انظري إلي الآن! لا تضطرينا إلى فعل ما قد نندم عليه.. تعلمين أنني أحبك. أما أمي فتفعل وتقول ما تراه صحيحاً، ويجب أن تعترفي أن وجهة نظرها بشأن هذا المنزل معقولة.

ـ ربما هي معقولة بالنسبة لك أما بالنسبة لي فلا، وما ذلك إلا لأنني كما ذكرت أمك، لم أملك منزلاً في حياتي. ولهذا لن أرضى أبداً الإقامة في منزل تسيطر عليه أمك.. ربما لست متعقلة. ولكنني واثقة أننا إن أقمنا معها، فستفعل ما بوسعها لتظهرني بلهاء تجعلك تتمنى معها لو أنك لم تتزوجني.

ـ هذا هراء!

ـ لا.. ليس بالهراء. يا الله رايز.. الا ترى أن علاقتنا لن تنجح؟

ـ لا أرى إلا أنك تدفعين الأمور نحو كارثة. أنت تتذرعين بأمي لفسخ الخطوبة.

ـ ربما.. على كل الأحوال رايز.. أحتاج الى بعض الوقت لأتأكد. ففي الأسابيع الأخيرة أصبحت قلقة غير مستقرة. أعلم أن الأمر سخيف ولكنني لا أتمالك نفسي، وأظن أن رغبتي في الحصول على منزل خاص بي وعائلة، استحوذ على ما عداها من رغبات طبيعية.. أحبك رايز، إنما ليس بالقدر الذي يجب أن أحبك فيه.

بدا الغضب عليه وقال:

ـ اراهن أن لهذه المخلوقة ميريل ضلعاً بهذا كله!

ـ لا.. على الأقل ليس بشكل مباشر. بل العكس، لقد قالت لي إنني أتصرف بغباء.. أوه رايز، ألا يمكنك الموافقة على سفري؟ إنه شهر ليس إلا.. فحين أعود منه قد نجد أننا مستعدان للبدء بحياة جديدة.

دس يديه في جيبيه:

ـ لا أدري ما أقول.. فلن أستطيع اعتراض طريقك إن كنت عازمة

الرأي، غير أنني أظنك متسرعة. القيام برحلة على متن يخت فخم أمر رائع، أعترف بهذا، ولكنها لن تعدو أن تكون رحلة.

ـ أعرف هذا، فماذا تحاول أن تقول؟

ـ أحسبك بدأت تعجبين بأوسكار ديسموند.

نظرت إليه يونا بذهول... فقال:

ـ أرأيت؟ أنت لا تنكرين!

ـ لو أنكرت فهل تصدقني؟ ثم إنني لست واثقة من أنك غير مصيب.

من الواضح أنه لم يكن ليفكر في أن ما اتهمها به قد يكون الحقيقة:

ـ ماذا؟ لا بد انك مجنونة! إن ماله دون شك هو ما جذبك إليه. فالمال أعماك عن كل شيء آخر: انه متزوج، أليس كذلك؟

ـ أجل.. إنه متزوج.. ولكنه لا يعيش مع زوجته.

صرخ فيها غاضباً:

ـ كلما أصغيت إليك ازداد نفوراً. إياك أن تعتقدي أنني أرضى أن أكون الثاني بعد رجل عابث لعوب لا فائدة منه!

شهقت يونا ثم ارتدت على عقبيها مسرعة:

ـ أخال أن كل منا قال ما عنده.. إذا أردت رؤيتي بعد عودتي فاتصل بي، وإن لم تتصل أعرف أن علاقتنا انتهت.

وضعت الخاتم على الطاولة ثم اتجهت إلى الباب.

أحست كما يحدث لها دائماً حين تغادر هذا المنزل، بأنها بانت حرة ثانية ولكنها الليلة شعرت بمزيد من الحرية علماً أنها لم تكن سعيدة بهذا. ولكنها بدون وعي، اعترفت لنفسها انها ورايز لن يتمكنا من التغلب على أية مصاعب ما دامت تسيطر عليه أمه.. أرسل فيها الاحساس بأنها الآن أكثر وحدة عن ذي قبل قشعريرة خوف من شر مرتقب.. وتساءلت ماذا يمكن للمستقبل أن يخبىء لها.

كان إلسي وولف، يخت ديسموند، مبهجاً للنفس أكثر مما تخيلته يونا. فهو أربع وعشرون متراً طولاً، أبيض اللون لامع تحت أشعة شمس فلوريدا التي تبلغ أشدها فوق ميامي والتي تتوهج على النوافذ الواسعة توهجاً جعل ميريل تعلّق أنها مما يتحمل أي ضغط فحين يكون اليخت في عرض البحر تصبح المقصورة مغامرة مثيرة عندما تصفق الامواج العاتية على نوافذها.

بعد أن التقاهما مايك في مطار ميامي استأجروا سيارة أقلتهم إلى المنتجع حيث استقلوا مركباً بخارياً برفقة القبطان ماكس ليصلوا إلى اليخت. كانت ميريل تعرف القبطان بعض المعرفة أما مايك فكان يعرفه معرفة وثيقة.

لقد قررت أن تترك الأمور تسير في مجراها الطبيعي، رافضة القلق المتعلق بمتاعبها العاطفية.. هنا في هذا المحيط المختلف كل الاختلاف عن عالمها، ستتمكن من نسيان قلقها وتوترها، فتعود إلى بلادها خالية البال من أي هم.

كان المنظر المطل من اليخت يخطف الأنفاس فالفيلات البيضاء منتشرة بين التلال والشطآن الرملية، والحدائق الخلابة غنية بالزهور. اليخت نفسه مجهز بكافة الادوات الحديثة، ففي مقصورة يونا سرير قابل للطي، وطاولة للكتابة أمامها مقعد ثابت، وهناك خزانة كبيرة واسعة كان يستعملها دون شك شخص لديه تشكيلة ملابس كبيرة..

على ظهر اليخت بركة سباحة صغيرة، يجري تغيير المياه فيها باستمرار بواسطة مضخة تُفرغها وتملأها.. استغلت يونا ومايك هذه البركة فلوحتهما الشمس سريعاً باللون الأسمر ذي البريق الذهبي، الذي أظهر أكثر فأكثر اشقرار شعرها.

كان التغيير الذي حدث لمايك في غضون أسبوع عظيماً وجلياً إذ لم

يعد إلى إطلاق التعليقات الساخرة، وبدا أنه خرج نهائياً من قوقعته.

لم تكن ميريل قد بدأت بعد بكتابة قصة جديدة، رغم انها قالت إن هناك قصة ما تطفو الى السطح. وابتسمت يونا لهذا لأنها تعرف ان ميريل تؤخر كتابة هذه القصة لتمنحها المزيد من الحرية التي توفرها هذه العطلة.

إن الحياة على ظهر مركب أمر مثير. فحركة الأمواج دائمة وتلاطم الأمواج مستمر وصراخ طيور البحر أبدي.

كان القبطان دونهام راوياً رائعاً فهو في فترات الظهر الحارة، حين يطلب الجميع الراحة، كان يأتي فيجلس قرب البركة حاملاً غليونه ويشرع في رواية بطولاته الحربية. واذا بدت بعض قصصه تشبه أفلاماً شاهداها من قبل كان مايك ينظر إلى يونا، ويبتسمان معاً. فماكس موهوب بتأليف القصص وهو لا يغضب أبداً حين يضبطانه وقد أطلق لمخيلته العنان.

كان طاقم اليخت من الشبان الذين راحوا يعاملون يونا نفس المعاملة التي يعاملونها لمايك وميريل، ولكن يونا كانت ترى أنه يجب ألا تعامل بالتساوي فما هي سوى سكرتيرة.

حين فتحت الموضوع امام ميريل ضحكت الأخيرة قائلة:

ـ أوه يونا انت حقاً قديمة الطراز، أتظنين أن لخلفيتك الاجتماعية تأثيراً ما؟ يا الله! أنت ضيفة أوسكار مثلي تماماً.

وكان على يونا أن ترضى بالأمر الواقع.

ظهر أحد الأيام، نزلت ميريل تطلب القيلولة، وجلست يونا مع مايك قرب البركة... كانا معاً في ثياب السباحة.. فسألها دون مقدمات.

ـ أخبريني يونا.. أتعرفين شيئاً عن وضع أمي؟

رفعت يونا نفسها على مرفق واحد ونظرت إليه.

ـ أجل.. أعرف.. أخبرتني عمتك.. لماذا تسأل؟

تنهد مايك:

ـ لأنني أردت التطرق معك إلى هذا الموضوع.

قطبت يونا:

ـ كيف؟ فلا أرى أنني قد أقدّم لك معلومات مفيدة.

ـ بل لديك.. إن تكلمت عن امي مع ابي، يسارع إلى إقفال الموضوع. وإن حاولت استدراج ميريل إليه تقول «هذا ليس شأنك!» حسناً.. إنه شأني! واريد التطرق إلى هذا الموضوع مع أحد. وليس لدي سواك أكلمه إلا أبي الذي يرفض التحدث بالموضوع.

ـ لكن عمَّ تريد أن تتكلم؟

ـ لست أدري بالفعل.. فأنا لم أشاهدها منذ سنوات، وبما أنني بلغت الخامسة عشرة الآن فأظن أنه يجب أن أراها.

ـ لكن.. أتريد هي أن تراك؟

ـ لا أظن.. أتذكرها عندما كنت طفلاً جميلة جداً ذات شعر أحمر طويل، وعينين خضراوين رماديتين.. عيناك خضراوان يونا، أتعرفين هذا؟ على كل الأحوال، في تلك الأيام كنت اؤمن أنها رائعة.. اوه.. أعرف أن مربية ربتني، ولكن حين كانت تأتي أمي لتقبلني قبلة المساء، كنت أشم رائحتها العطرة وأراها مرتدية أبهى الثياب.. في تلك الأيام حينما تكون موشكة على الخروج كانت ترفض ان أقبلها لئلا أفسد أحمر شفاهها.

نظرت إليه يونا بعطف:

ـ وماذا عن والدك؟ أكان يأتيك كل ليلة ليقبلك؟

بدا الحرج على مايك:

ـ حسناً.. لا أعتقد أنها كانت تخرج معه كثيراً.. كان هناك سلسلة من الأعمام، العم فريد، العم جون، العم سام، والعم طوني.. أذكر هؤلاء فقط، لكن كان هناك غيرهم وهم عدد كبير.

ـ وبم تشعر حيالها الآن؟

ـ لا أدري.. لا أعرف إلا أنها كانت زوجة غير صالحة وأماً سيئة... ولكنها أمي، مهما فعلت ومهما قيل. ولا يمكنني إلا أن أشعر حيالها بشيء حتى وإن كانت لم تشعر بي عندما أبعدني عنها والدي... بقيت غائبة عن الوعي ثلاثة أيام.

ـ أيعني هذا أن والدك لم يكن يقيم معكما وقتذاك؟

ـ لا.. لقد تركها حين عاد من رحلة عمل فوجدها تخونه في غيابه.

أحست يونا بالرعب غير أنها عرفت سبب رأي أوسكار المنحط ببنات جنسها فهو لم ينعم قط بالسعادة والراحة اللتين يوفرهما البيت للرجل.

قطع مايك أفكارها قائلاً:

ـ أنت حقاً فتاة طيبة.. أليس كذلك؟

كانت نبرته توحي بما يعني «بفتاة طيبة» فردت عليه ببطء:

ـ الاقامة في ميتم لا تحضر المرء لحقائق الحياة لأن الحياة فيه قاسية صارمة متزمتة ولأن الميتم يعلم أيتامه ولقطاؤه بعدم الثقة برجل يرغب في علاقة عابرة، سواء أكانت نواياه شريفة أم غير شريفة كما يعلمهم المحافظة على أنفسهم حتى يوم الزفاف لأن الزواج من دون حب كفيل بجلب طفل محروم الى الدنيا.

ظهر الاهتمام على مايك:

ـ تابعي.. من هما والداك؟ ومن أين جاءا؟

ابتسمت يونا:

ـ هذا سؤال عويص فلا أعرف إلا أن أمي كانت ممرضة من اوماها وأن أبي كان طالب طب، ولكن لم يثبت لدي شيء إذ ماتت أمي بعد ولادتي بوقت قصير.. كان شعورها ذاك يشبه شعور أمك، فتركتني في الدار لأنها لم ترد استعادتي. فعملها كان أهم مني ولم يتبناني احد، كما يحدث لمعظم الاطفال أمثالي. عشت في الميتم حتى بلغت السادسة

عشرة وفي ذلك العمر تركت الميتم وقصدت نيويورك وليس لي عمل.

ـ أيتها المسكينة، أنا اتذمر كثيراً بشأن حياتي التي إذا ما قورنت بحياتك، بدت رحمة ونعمة، اليس كذلك؟

ـ طبعاً.. أعلم أن والدك أحسن صنيعاً حين أبعدك عن أمك فالحياة التي كانت تحياها لا تناسب طفلاً. وهل سألت عنها؟

ـ بعدما نقلت إلى مصح للشفاء، لم يكن أمامي فرصة.. ثم أن ناني كانت أماً لي أكثر من هيلين. هيلين كانت فقط جنية شجرة الميلاد التي تعيش معي في المنزل.

كانت يونا تجلس أحياناً وحدها غارقة في أفكارها.. انها في الواقع مخلوقة مرتبكة، دخلت إلى عالم المجتمع الراقي المنحط أخلاقياً.. أوسكار رجل متزوج في الاربعين، وهو المثال المحتذى به لمثل هذه الطبقة. غير أن ما يزعجها هو عدم قدرتها على التعامل مع رجل كهذا والشاهد على ذلك المرة الأخيرة التي التقته فيها في شقة ميريل... لقد حاول العبث بها حينذاك، ومع انها نجحت في الابتعاد، إلا أنه لو حاول شيئاً جاداً معها، لأحست قطعاً بالذعر.. ولكانت سخيفة ضعيفة.. كلما اعترفت بهذا الواقع بسرعة كان هذا خيراً لها فرغم أخطاء رايز جميعها فهو رجل من طبقتها، معه لن تمر بمثل هذه الشكوك والضياع. قررت ان تراسله وتطلب منه المجيء إلى ميامي لقضاء عطلة نهاية الاسبوع، وهي تعلم أنها ستحصل على إذن من ميريل، وعندئذ يقضيان وقتاً ممتعاً، يزوران فيه النوادي الليلية، وربما جربا حظهما في الكازينوهات.

أحست أنها أفضل حالاً باتخاذها هذا القرار، ولكنها قررت كذلك ألا تذكر شيئاً لميريل التي قد تحاول أن تغير لها رأيها.

استلمت رداً من رايز بعد بضعة أيام عندما وصل الرد الى اليخت مع البريد، وأعطتها ميريل الرسالة باستغراب، سألت:

ـ اهذا خط رايز؟

ـ أجل.. لماذا؟

ـ إنه فضول. ترى لماذا كتب لك رسالة؟

ـ حسناً.. لقد أرسلت له رسالة أولاً.

هزت ميريل كتفيها:

ـ أهذا صحيح؟ حسناً..! وما هي أشجان القلب التي وردت في الرسالة.

ـ لا أشجان ولا من يحزنون. سألته فقط إذا كان يستطيع المجيء إلى ميامي ليقضي عطلة الأسبوع معي، أقصد في فندقين مختلفين.

ردت ميريل ساخرة:

ـ طبعاً..

أسرعت يونا إلى مقصورتها لتقرأ الرسالة بهدوء:

«عزيزتي يونا».

«أنا مسرور لأنك وجدت أخيراً أن من اللائق أن تكتبي لي رسالة تعتذرين فيها عن تصرفك معي في لقائنا الأخير...».

أحست ببوادر الغضب تتصاعد منها فشدت على قبضتيها وتابعت القراءة:

«أمي استعادت عافيتها من مرضها، وعادت إلى كامل نشاطها... لقد وقعت المؤسسة عقداً مع احدى الشركات المالية... وهذا ما رفع من مرتبي إلى درجة كبيرة، ومعنى هذا أن حفل زفافنا سيكون من أفضل الحفلات.

«من سوء الحظ أنني لن أستطيع القدوم إلى ميامي أثناء وجودك فيها. ذلك، عدا انشغالي مع هذه المؤسسة، أنني وأمي نعتبر ما قد أنفقه في ميامي إسرافاً غير ضروري. وما دمت عائدة إلى البيت بعد أسبوعين أو أقل فلنؤجل المناقشة حتى ذاك الحين.

«سأغير في عطلة الأسبوع ديكور غرفة نومي وقد فكرت في شراء سجادة مناسبة، أتظنين أن اللون الأخضر مناسباً لها؟».

توقفت يونا عن القراءة، وقد راحت معدتها تتقلص ألماً. لقد بدا لها جلياً، أنه رغم ما حدث بينهما قد قرّر الإقامة مع أمه بعد زواجهما فلماذا إذن يغير ديكور غرفة النوم ويسألها عن لون السجادة المناسب؟

أرادت تمزيق الرسالة لتعوض قليلاً عن خيبة أملها. كانت تعرف أنه سيعتبر الرحلة إسرافاً، ولكنها كانت تأمل أن يأتي.

«أخيراً، أعلميني بموعد وصولك إلى المطار لألقاك فيه وسيكون لقاؤنا مناسبة لجمع الشمل من جديد. وحتى ذلك الوقت، لك كل حبي.. يا حبيبتي...».

أعادت يونا الرسالة إلى المغلف، ثم حدقت ساهمة حزينة الى الفضاء تفكر في أن رايز كالعادة جعل كل شيء مملاً ومبتذلاً وما ذلك إلا لأنه رجل ممل حقاً ولكن كيف غفلت عن ملاحظة هذا الجانب فيه؟ لقد كانت معمية البصر عن رؤية حقيقته حتى قابلت أوسكار ديسموند.

إن المرأة بحاجة إلى من يرعاها ويدللها، واذا كان رايز على هذا النحو الآن، فكيف سيصبح بعد بضع سنوات حين تخبو إثارة الزواج.

كانت تسند رأسها إلى الجدار، تنظر بضجر من النافذة حين سمعت طرقاً مباغتاً على الباب، أعقبه دخول مايك مسرعاً:

ـ آسف لاقتحامي عليك الغرفة بهذه الطريقة ولكن وقع لميريل حادث!

ـ ماذا؟ ماذا حدث؟ أين هي؟

لحقت بمايك متجاوزين المقصورة، قاصدين سطح اليخت.

ـ لقد وقعت في بركة السباحة التي أفرغها ماكس لينظفها.

ـ أوه.. يا إلهي العزيز! أإصابتها شديدة؟

ـ لا أدري، لقد اتصل ماكس لاسلكياً لاستدعاء الطبيب ونحن ننتظره.

ما إن اقتربا من البركة حتى وجدا ميريل مستلقية على بساط.

ـ حبيبتي! هل انت بخير؟ ماذا فعلت بنفسك بحق الله؟

ابتسمت ميريل قليلاً:

ـ لا بأس عليك حبيبتي.. لا أدري كيف حدث ما حدث... لا تشغلي بالك بي ولكنك للأسف لن تستطيعي الذهاب إلى ميامي في العطلة الأسبوعية ذلك أنني سأحتاج الى بضعة أيام في الفراش و...

ـ لن أذهب إلى ميامي. لقد رفض رايز دعوتي.

ـ هل رفض؟

ـ أجل.. لماذا؟

هزت ميريل رأسها:

ـ سأشرح لك فيما بعد.. أوه.. ليت ذلك الطبيب يسرع إليّ قليلاً ليصف لي ما يسكّن ألمي.

كان الطبيب شاباً وسيماً، بدا أنه وجد يونا أهم من المريضة التي عاملها ببراعة ومهارة وقد طلب نقلها الى البر ليجري لها صورة أشعة في المستشفى.. عارضت ميريل فكرة نقلها إلى البر بشدة ومع ذلك حملت في قارب الطبيب السريع. في هذه الأثناء راقبت يونا بقلق مخدومتها محمولة فقد بقيت في المركب تحت إلحاح ميريل ولكنها قلقت بشأن ما سيكون عليه رأي أوسكار إن بقيت ومايك وحيدين في اليخت.

كان الطبيب قد أخبر يونا أن لا كسور على ما يعتقد قد أصيبت بها ميريل ولكن لا بد لها من الراحة التامة بضعة أيام على الاقل. عندئذ تعاظمت مسؤولية مايك التي وقعت على كاهلها وحدها.

ولكن مايك، ساعة الغداء، نظر إلى الأمور نظرة مختلفة. اذ قال وهما يأكلان:

ـ أظن أن علينا الاتصال بأبي فقد يغضب إن لم نتصل به.

فأجابت يحزم:

ـ ولماذا يغضب؟ إن ميريل عائدة غداً.

ـ ألم تسمعي ما قاله الطبيب؟ لقد ذكر أنها لن تعود قبل أيام.

قطبت يونا:

ـ يبدو أنك نسيت أنني في الرابعة والعشرين من عمري.. ربما أتصرف أحياناً وكأنني أصغر سناً، إلا أنني قادرة على العناية بنفسي وبك أيضاً... أنا أعيش في شقة مع شريكة واحدة تتركني دائماً.. أما هنا فثمة ماكس وطاقم اليخت كله.

هز مايك كتفيه ورد ببرود:

ـ لا تشمل واجبات ماكس رعايتي.. ثم لماذا لا أتصل بأبي؟ أعتقد أن لا شأن لك بذلك!

بدا متعالياً متعجرفاً، حتى رأت فيه يونا من جديد ذلك الشاب البغيض الدائم الاعتراض، فمالت نحوه فوق الطاولة وقالت:

ـ اصغ إلي الآن مايك.. لقد ألقت ميريل مسؤوليتك على عاتقي! بدت عليه الصدمة.

ـ ألا تعلمين مع من تتخاطبين؟

ـ أتخاطب معك انت يا صديقي الصغير الطيب.

ـ أنت تمزحين دون شك.

ـ لا أبداً. حذار أن تحاول التنصل من سلطتي هنا. وجودك على هذا اليخت مرتبط بوجود ميريل التي وافقت على الإتيان بك فان أصابها امر خطير وعرف والدك به عدنا إلى نيويورك.

شحب وجه مايك وتلاشت الكبرياء عنه:

ـ أوه.. يا الله.. أتظنين هذا؟

ـ ليس هذا ببعيد الاحتمال.. أليس كذلك؟ فوالدك قد يظن أننا لن نحسن تدبير أمورنا وحدنا.

ـ أجل.. إنك على الأرجح محقة. آسف يونا، لقد كنت صغيراً ومزعجاً.

ـ لا بأس عليك مايك.. أتعرف ماذا سنفعل؟ سنذهب بعد الظهر إلى ميامي لشراء بعض الأغراض فأنا بحاجة إلى بعض الثياب وإلى

كريم يقيني أشعة الشمس كما أن لدي رسالة أرسلها بريدياً.

ـ أوه.. يونا.. أنت طيبة فعلاً! بعد هذه العطلة سأعود إلى مدرستي القبيحة، وستعودين أنت إلى وظيفتك في السكرتارية. بالمناسبة هل ستتزوجين في هذه السنة؟ كما يقول أبي.

رفعت يونا كتفيها لا إرادياً وأجابت:

ـ لا أدري حقاً. ربما لن يحدث هذا!

* * *

٨ ـ جحيم الشوق

في اليوم التالي، زارت يونا ميريل في المستشفى. كانت مستلقية على الفراش مستندة إلى الوسائد، ولكنها بدت شاحبة حتى اعتقدت يونا أن السقطة قد أثّرت فيها أكثر مما اعتقدت.

جلست على مقعد مريح قبالة السرير تسأل عن حالها. كانت المستشفى مجهزة بأفضل المعدات، فيها مرضى هم بمعظمهم من النساء المتوسطات العمر والعجائز ولكن بعدما شاهدتهن مرتديات ثياباً للنوم مبالغاً فيها وشفافة، وجدت أن معظم أمراضهن من محض الخيال إذ أنهن جميعاً صحيحات الجسد يتذرعن بالمرض.

ذكرت ذلك أمام الممرضة الانكليزية المتزمتة فتلقت رداً صارماً: إن النساء يفضلن البقاء في عيادة الطبيب على البقاء في الكازينوهات.

ضحكت يونا قليلاً، وسألتها بفضول:

ـ لماذا تبقين هنا إذن؟

ابتسمت الممرضة:

ـ آه.. رالف.. الطبيب.. هو ابن اختي الذي أخشى إن تركته أن تفترسه هؤلاء النسوة.

اطلعت يونا ميريل على هذا الحديث فابتسمت الأخيرة.

ـ إنه في الواقع طبيب لطيف رائع ولكنني أتمنى الخروج من هنا. لقد بدأت أضجر من استلقائي على هذا السرير عاجزة. اين هو مايك على فكرة؟ ألم تحضريه معك؟

ـ لا.. أراد أن يأتي، ولكنني أقنعته بالبقاء مع ماكس، وهو الآن يساعده.

ابتسمت ميريل براحة.

ـ عظيم.. فلا أريد أن يتجول الصبي وحده في المدينة.

صاحت يونا ساخطة:

ـ هل تحسبيني غبية؟ فلتعد إليك الآن، ماذا قال الطبيب؟

ـ لم يقل إلا النزر اليسير... أجرى صورة أشعة لي يوم امس، ثم ربط لي كاحلي وضلوعي. قال إن ضلعين من أضلاعي مشعوران وكاحلي ملتوا!

ـ كيف حدث ما حدث ميريل؟

بدا الخجل على ميريل:

ـ حسناً يونا.. سأكون صادقة معك.. حين وصلتك الرسالة من رايز، وقلت إنك راسلته، غضبت كثيراً إذ لا تعجبني فكرة جريك وراء رجل... ففكرت أن انزلق قليلاً عن السطح وادّعي التواء كاحلي حتى الزم الفراش...

ـ ماذا؟ ميريل! أفعلت هذا؟

ـ أجل.. ولكن انزلاقي كان قوياً.

ـ اوه.. يا إلهي! كان يمكن أن تفعدي نفسك ميريل!

ـ أتتصورين أنني لم أفكر في أن هذا قد يحدث؟

ـ ومتى تتوقعين العودة؟

ـ لا أدري.. إن شاهدت الطبيب أثناء خروجك اسأليه فمهما قلت، لا أريدك مع مايك وحدكما على ذلك اليخت، فليس أي منكما كبيراً ليترك وحده.

ـ أوه.. هذا هراء. نحن قادران على تدبير أمورنا، فلا تقلقي.

ـ أطلبت من ماكس الاتصال بأوسكار؟

ـ بالطبع لا.. هذا غير ضروري.

ـ يجب أن أعترف أن فكرة مجيئه لا تعجبني أيضاً.

ـ ولماذا بحق الله؟ أنا لا اقول إنني أريد قدومه ولكن لا يجب ان تقلقي. فأنا قادرة على مواجهته إن دعت الحاجة.

ـ ربما تستطيعين وربما لا. ولكن في الواقع لا أريد أن أبعث فيه القلق فقد أعود بعد بضعة أيام... اعتني بنفسك حبيبتي.. أتفعلين؟

ـ طبعاً.. أهناك ما تودين أن آتيك به؟

أثناء خروجها من غرفة ميريل قابلت الطبيب الذي قال بصراحة:

ـ لا أستطيع أن أجزم في الوقت الحالي. علينا أن ننتظر يومين حتى أقرّر. تبدو بصحة جيدة ولكنها ليست صغيرة وعظام الكاحل مصابة بحدة، وهي بحاجة إلى الراحة. فقد يتأخر عنها الشفاء. وإذا تركتها تخرج، قد لا تعطي كاحلها الراحة اللازمة. ثم أن ضلوعها تؤلمها، لكنها لا تعترف، وهي تخجل من تجرّع الدواء. لذا أجدني على حق في ابقائها هنا.

كان على يونا أن تقنع بكلامه، إذا كان يعني أن ميريل قد تخرج بعد يومين بحالة جيدة. استقلت سيارة أجرة حتى ميناء المتجع الصغير وهناك أشارت إلى المركب السريع، حيث سارع أحد أفراد الطاقم لنقلها إلى متن اليخت.

لم تكن تدرك أنها تبدو فاتنة ببشرتها الذهبية المشعة صحة وكمالاً ونعومة، التي تتنافر بحدة مع فستانها الابيض وشعرها الاشقر البرّاق. كان أحد الرجال على المركب يستند الى الحاجز الفولاذي اللماع يراقب تقدمها باهتمام وعيناه مركزتين عليها تركيز رجل بامرأة.

ولكنها لم تنتبه إلى أن هناك من يراقبها. وحين وصل القارب السريع الى اليخت، رفعت عينيها فاصطدمت بوجود أوسكار ديسموند، فصاحت به دهشة:

ـ ماذا تفعل هنا بحق الله؟

ساعدها أوسكار على الصعود. كانت أصابعه قاسية باردة على

يدها الناعمة الدافئة. . ثم تركها وقال:

ـ هذا استقبال رائع سأتجاهله في الوقت الحاضر. . وبما أن هذا يخني، ولي الحق فيه. فلا أرى حاجة للرد عليك. .

فتحت ذراعيها وهي ترد عليه:

ـ إذا جئت لتتفقد أحوال ميريل فقد جشمت نفسك عناء غير مفيد ذلك أنا هنا على ما يرام. حين تقع يداي على ابنك سأصفعه بكلمات قاسية، فقد طلبت منه ألا يتصل بك.

أرخى أوسكار ربطة عنقه وفك زر قميصه.

ـ لم يكن مايك المخبر بل ماكس الذي يتعين عليه، في ظرف كهذا إعلامي. لقد أوصيته قبل رحيلي أن يتصل بي في حال حدوث طارئ ما.

فوجئت يونا بكلامه.

ـ اوه. . أفعلت هذا؟ إن هذا استبداد. أتصورت أن يصيبنا اذى هنا؟

ـ هناك أشياء كثيرة قد تحدث.

وأشار الى أحد افراد الطاقم:

ـ احضر لي عصيراً بارداً. . ماذا تريدين أن تشربي؟

هزت يونا كتفيها واقتربت من كرسي قرب البركة وهي ترد:

ـ لا شيء. . . شكراً لك.

تجاهل ردها وقال للرجل:

ـ احضر للآنسة كوباً من الليموناضة.

جلست يونا على المقعد أما أوسكار فوقف ناظراً إليها بحيرة:

ـ لقد تغيرت، ليس في المظهر فحسب بل في الشخصية. إنك أكثر ثقة بالنفس. فلماذا. . . عجباً؟

رفعت نظرها إليه، رافضة لعضلات معدتها التقلص. قالت مبتسمة:

ـ ربما ساعدني ابنك في التحرر من بعض ما يقلقني. . لا يبدو في هذا المكان أي شيء هاماً كما هو في المدينة. إن الإنسان في مكان كهذا ينسى توتره ومشاكله.

ـ عظيم جداً. . أنا سعيد بما أسمع.

ـ أين هو مايك؟

ـ لا تأبهي به. . كيف حال ميريل؟

ـ يبدو أنها تتحسن بسرعة.

ـ غريب. . اتصلت بالعيادة منذ قليل وقيل لي انها لا تتجاوب مع العلاج.

أحست بالانزعاج من كلامه:

ـ أتحاول خداعي؟

ـ لا. . ولكن لا تحاولي تغيير الحقيقة على أمل أن أرحل. فأنا لن أرحل قبل عودة ميريل إلى طبيعتها. أحس أنني بحاجة إلى الراحة. . وربما أنني أحضرت جورج سكرتيري فهذا يعني أنني سأمزج العمل بالتسلية. . ألا يمكنني هذا؟

ردت متصلبة:

ـ طبعاً.

أقبل الساقي ومعه الشراب، فتقبلت يونا شرابها منزعجة فبعد وصول أوسكار ديسموند ستتبخر ثقتها الجديدة بنفسها.

ـ أظن أنني بحاجة إلى دوش.

ـ وماذا عن مايك؟ أين هو؟

ـ لا تقلقي عليه، لقد اصطحبه جورج إلى ميامي للقيام بنزهة في السيارة التي جلبتها من نيويورك.

ـ هكذا إذن.

ـ والآن. . اعذريني، سأذهب لأزيل عني غبار الطريق. انتظرت فقط لأحييك وأشرح لك ما حصل.

ـ تفضل.. افعل ما شئت.

بقيت يونا حيث هي تشرب الليمون اللذيذ، الذي يعصر على ظهر اليخت طازجاً للاحتفاظ بنكهته والذي يُضاف إليه ثلج يجعل منظر الكأس مغرية.

تساءلت ما قد تقول ميريل حين تعلم بوصول أوسكار، ستجمع واحد بواحد.

حالما أنهت شرابها قصدت مقصورتها لتغير ثيابها بثياب العشاء فقد اقترب موعد وجبة العشاء ومن المفترض لها أن تبذل جهداً لتكون مؤدبة.

ارتدت بعد أن اغتسلت بسرعة، الثوب الحريري العاجي اللون الذي ارتدته تلك الليلة في توسكانيا. فقد قررت أن تبدو على الأقل ذات حنكة وخبرة ثم بعد ذلك رفعت شعرها وعقدته على قمة رأسها فبدت أكبر سناً.

كانت غرفة الطعام الصغيرة مُعدّة لأربعة أشخاص هم مايك وجورج السكرتير وأوسكار إضافة إليها هي. حين دخلت ورأت الغرفة فارغة أرادت الخروج ولكن مايك دخل عليها صائحاً بغبطة:

ـ مرحباً يونا.. ها قد عدنا! كيف حالك، وكيف حال العزيزة ميريل؟

ـ أنا بخير، وميريل في تحسن. هل تمتعت بنزهتك؟

ـ كانت رائعة فقد اصطحبني بسيارتنا الجديدة. انها ليموزين عظيمة!

احتست يونا قليلاً من شراب الكرز مع التونيك وسألت:

ـ اذن لقد رأيت والدك؟

ـ أوه.. أجل رأيته.

ـ أنت سعيد فلماذا؟

ـ لن يعيدني إلى المدرسة كما اعتقدت.. بل سيبقى هنا حتى تشفى

ميريل... أليس هذا رائعاً؟

بدا الضجر على يونا:

ـ ربما...

ضحك مايك:

ـ أوه.. يا إلهي! أنت المرأة الأولى التي لا تقع في حبائل أبي أو تلتمس حبه.

ابتسمت يونا:

ـ ولكنني لا أهتم به أقل اهتمام.

ـ أهذا صحيح؟

ولكن السؤال أتاها من الخلف فالتفتت محرجة وإذا بها تجد أوسكار مستنداً إلى الباب يراقبها بعينين ساخرتين. ترى متى وقف هناك؟ ردت وهي تحس بالصدمة:

ـ مسترقو السمع لا يسمعون عادة ما يرغبون في سماعه عن أنفسهم.

ـ معك حق.. سأعلمك مستقبلاً بقدومي لتهيئي كلمات لطيفة تقولينها عني حين أسترق السمع.

ابتسمت بجفاء وقالت بوقار:

ـ أظنك تهزأ بي.

وانفجر مايك ضاحكاً.

ـ أوه يونا... انظري إلى وجهك! لا تقلقي إن والدي لن يهمه ما تقولين.. اليس كذلك أبي؟

ـ ضمن المعقول.. ارى أنني مضطر إلى أن أكون فاتناً مع رفيقتك مايك، بالطريقة التي تعاملك بها.

أحست يونا أن تعليقه غامض ولكنها امتنعت عن الإشارة إليه، متسائلة إن كانت بداية السهرة بغيضة فكيف بنهايتها.

عندما انضم جورج ذو الستين عاماً إليهم وجدته ودوداً فاتناً فقد

راح يعاملها معاملة لطيفة كانت بالنسبة لها نعمة سماوية خاصة بعد مشاجرتها مع أوسكار ديسموند.

حين انتهت الوجبة، وقف أوسكار قائلاً:

ـ لا أظن أن من اللائق إزعاج يونا بأحاديث العمل..

ثم التفت إليها:

ـ أخبريني.. ألم تذهبي إلى الكازينو بعد؟

ـ لا.. لماذا؟

ـ على كل شخص أن يزور الكازينو ولو مرة واحدة عندما يكون في ميامي، ألا توافقني الرأي جورج؟

ضحك جورج:

ـ على أن يكون لدى المرء مال كاف.

قال ساخراً:

ـ يا لك من ديبلوماسي. حسناً، بما أن يونا لم ترَ الكازينو وبما أنه يصعب عليها الذهاب برفقة ميريل فأقترح أن أرافقها الليلة إليه، على أن تمضي أنت ومايك الأمسية كما تشاءان هنا.

نظرت إليه يونا ببرود وقالت بشجاعة:

ـ ولكنك لم تسألني رأيي؟

ـ صحيح.. لم أسألك؟ إذن.. أتودين الذهاب؟

ابتسمت يونا واستسلمت:

ـ بكل سرور.

ـ جيد.. هل لنا أن ننطلق الآن؟

وجدت الليموزين، كما قال مايك رائعة وهي نوع من السيارات لم تستقلها يوماً إذ لم تكن قد خرجت بسيارة مع رجل إلا مع رايز، ورايز يختلف في كل شيء عن أوسكار حقاً.

وبينما هما متجهان إلى الكازينو التفت إليها ساخراً.

ـ أنت تملكين روح المغامرة ولولا ذلك لما قبلت دعوتي.

ابتسمت ترد:

ـ لماذا؟ أظن أننا سوّينا هذه الأمور في لقائنا الأخير في شقة ميريل.

ولم يرد.. فأحست برجفة لأنها تذكرت أنهما سيمضيان الليلة وحدهما. ترى ماذا قد تفعل إن لمسها، او عانقها؟.. هل ستحس بالاضطراب الشديد؟ فهو على كل حال فتة مجهولة من الرجال يُزاد إلى فرق العمر بينهما فرق الخبرة. فلو كانت من نوع النساء اللاتي يعاشرهن لعرفت كيف تتصرف معه دون صعوبة..

ـ فيم تفكرين؟

انتشلها سؤاله من أفكارها فقالت مرتبكة:

ـ لا.. لا شيء بالتحديد.. هل سنصل قريباً؟

ـ ألا تعرفين؟ أنا واثق أنك زرت المدينة قبل مجيئي.. أين تريدين الذهاب الآن، أإلى الكازينو مباشرة أم نمر بأحد النوادي التي أعرفها؟

ـ اختر ما تريد سيد ديسموند.

ـ اسمي أوسكار.. أرجوك.

ـ حسناً أوسكار.

ـ إذن سنذهب إلى الاتوال.

لم يكن الأتوال مربعاً ليلياً كما تصورت بل مكاناً غير مُضاء إلا قليلاً، لا يصل المرء إليه إلا بعد أن ينزل درجات.

سبقها أوسكار حتى يساعدها على الالتفاف في إحدى زوايا الدرج الحادة. نظر إليها حين أصبحت على مقربة منه في أسفل الدرج.

ـ أما زلت قطعة واحدة؟

ضحكت:

ـ تقريباً، كما أظن!

ـ أتدركين أنها المرة الأولى التي تبدين فيها مستريحة؟

عضت على شفتها:

ـ صحيح؟ ربما لأنني لا أشعر أن عليّ الحذر منك في الوقت الحاضر.

التفت أصابعه على ذراعها وهمس بنعومة:

ـ يونا.

فرفعت إليه رأسها، وأكمل:

ـ ليتني كنت أصغر سناً وأقلّ خبرة.

ـ وهل هذا مهم؟

آلمتها أصابعه على ذراعها:

ـ أجل... يهم كثيراً.

فجأة انفتح باب القبو، ووقف فيه رجل قصير سمين يكاد يسد الباب.. حدق فيهما وسيكارة بين أسنانه.. ثم صاح:

ـ أوسكار.. أهذا أنت.

ترك أوسكار يونا وتقدم منه:

ـ أجل راؤول.. هذا أنا.

شد الرجل على يد أوسكار، وراحا يتحدثان بفرنسية لم تفهم منها كلمة، ثم تذكر أوسكار رفيقته، فجذبها اليه، ووضع ذراعه على كتفها بعفوية:

ـ يونا.. هذا راؤول ميلينا.. راؤول هذه يونا نولان إنها سكرتيرة ميريل بولتون.. أتذكرها؟

ـ أجل.. الكاتبة.. إنها جميلة جداً يا صديقي.. وماذا يفعل مثل هذا الجمال مع رجل مثلك؟

اتسعت ضحكة أوسكار:

ـ لا تهتمي بكلامه يونا.. لقد أصبح عجوزاً خرفاً على ما أخشى.

أدخلهما راؤول ضاحكاً إلى ردهة واسعة، خفيفة الإضاءة اتسعت فيما بعد شيئاً وشيئاً حتى كشفت عن باحة رقص ومقصف. تأملت يونا المكان الذي لم يكن فخماً البتة فتساءلت عن سبب ارتياده عوضاً عن

النوادي الليلية.

ـ هل أعجبك؟

كان سؤال راؤول موجهاً إليها، فردت بصدق:

ـ لم أجده كما توقعت.

فهز أوسكار رأسه:

ـ أعرف.. انت تظنين بي دائماً الظنون. أكنت تحسبينني أصطحبك إلى كباريه؟ أتظنين أن مثل هذه الأمور تهمني؟

احست يونا بحرج جعل راؤول يشفق عليها.

ـ لا تقل لها مثل هذا أوسكار.. فهي لا تعرف كيف ترد عليك... يا عزيزتي، أوسكار ليس ممن يسلي نفسه بتلك الطريقة.

فهمت يونا ما يقصده دون أن يكمل، فقالت:

ـ أعرف.. وأخشى أنني أتفوه دائماً بكلمات لا تقع في موقعها.

ـ هيا بنا.. فلنشرب شيئاً ما.

تقدمهما راؤول في الغرفة الطويلة:

ـ هل ستمكثان حتى أوان الاستعراض الراقص؟

ـ لا أدري. إننا نريد أن نذهب إلى الكازينو لذا لا أعلم إن كان سيتسنى لنا الوقت، فيونا تطلب العودة في وقت معقول.

ـ معقول؟ وما هو المعقول؟

تصلبت كتفا يونا وردت بحدة:

ـ لا أطلب العودة باكراً. إن الساعة الثانية بالنسبة لي وقت جيد.

ـ حسناً يا حبيبتي.. هذا يناسبني.

حدق فيه راؤول:

ـ أنت غير جاد حقاً يا صديقي؟

تنهدت يونا، تسأل مرتبكة:

ـ حسناً، ما هو الوقت المعتاد؟

رد أوسكار بنعومة:

ـ الوقت المناسب عند راؤول هو الفجر غير أنني لن أبقى حتى ذلك الوقت.

ضمت يونا شفتيها لحظة وقالت:

ـ أتتوقع مني أن أصدقك؟

أجلسها أوسكار على كرسي مرتفع أمام المقصف، ثم دخل راؤول إليه ليقدّم لهما مشروباً.

أخرج أوسكار علبة سكائر عارضاً عليها سيكارة قبلتها شاكرة. أشعلها لها وأشعل لنفسه، ثم نظر إليها من خلال سحابة من الدخان:

ـ أعجبك المكان؟

ـ جداً. أظنني سأجد متعتي فيه حتى لو واظبت على مهاجمتي.

اقترب منهما قبل أن يتمكن من الرد راؤول الذي وضع امامهما كوبين طويلين فيهما سائل وردي اللون فوقه قطعة برتقال مستديرة:

ـ هذا شراب يقدّمه المطعم عادة؟

نظرت يونا إلى أوسكار مستفهمة، ثم ارتشفت القليل... كان شراباً لذيذاً جعلها طعمه تشهق.

نظر إليها راؤول وسأل:

ـ أعجبك؟

ـ أجل.. أعتقد هذا.. ماذا وضعت فيه بحق الله؟

هز راؤول رأسه:

ـ اوه.. هذا سر المطعم.

ضحك أوسكار قائلاً:

ـ أتصور أن كوبين منه سيتخمانك حتماً.

عبست في وجهه ثم احتست القليل منه. أما أوسكار فسحب نفساً عميقاً من سيكارته وقال:

ـ حدثيني الآن عنك.

ـ عني؟ ليس هناك ما أقوله.

ـ حسناً... أعلم أنك تربيت في ميتم كما أعرف أنك مخطوبة.

ـ أنت على حق إلا أنني لست واثقة إن كان رايز ما يزال خطيبي.

ـ لماذا؟ هل فسختما الخطوبة؟

تنهدت يونا:

ـ إنها قصة طويلة قد لا ترغب في الاستماع إليها.

ـ بل أرغب.. هيا قصيها علي.

ـ حسناً.. تسيطر على رايز أمه التي تريد منا أن نعيش معها بعد الزواج، وهذا ما أرفضه.. أترى.. إنني وحماتي لا نتفق أبداً.

ـ أهذا كل شيء؟ ظننتك تحبينه.. إن كنت تحبين شخصاً فهذا يعني أنك على استعداد لمساعدته مهما حدث.

ـ يا لأفكارك الرجعية!

ابتسم:

ـ أتظنين هذا؟ حسناً، أعتقد أنك على حق. ولكنني أشك في ما قلته. أهذا ما تريدين مني قوله؟

ـ حسناً.. بعد أن قابلتك أدركت أنني لا أعرف الرجال كثيراً. كما أدركت أن رغبتي في الزواج من رايز تعود إلى حاجتي إلى منزل.. فهل هذا معقد كثيراً؟

ـ أجل.. إنما أنصحك ألا تجعلي هذا النوع من الحياة يستحوذ عليك. اتخذي ميريل مثالاً... إنها تحبك حباً عظيماً وهي تريد أن تتزوجي بأي رجل قد يرضى ببقائك سكرتيرة لديها.

ـ هذا قول ماكر.

ـ وماذا قررت بشأن الزواج من رايز؟

ـ أوه.. كتبت رسالة إلى رايز أطلب فيها منه القدوم إلى ميامي لنمضي عطلة الأسبوع معاً في ميامي ولكن حين عرفت ميريل بالخبر، قامت بعمل أحمق أدى إلى انزلاقها وما فعلت ذلك إلا لتمنعني عنه غير أن السحر انقلب على الساحر. وها هي الآن مصابة حقاً.

ـ يا لها من شيطانة.. أظنها عندما تكتشف وجودي ستصاب بنوبة اختناق!

ضحكت يونا:

ـ هذا محتمل. ولكن لا تنسَ أن دوافعها بنّاءة فهي متعلقة بي بشدة ومعاملتها لي هي أقرب لمعاملة الأم لابنتها.

أطرق أوسكار رأسه، فحدق إلى شرابه. عندئذ سمحت لنفسها بمتعة النظر إليه... وفكرت أنها لن تهتم بعد اليوم برجال أصغر عمراً، لأنها إن قارنتهم مع أوسكار وجدتهم صغاراً لا يملكون الخبرة والحنكة.

سمعت يونا فجأة حفيف ثوب سهرة يمر بها، ورأت يداً تستقر بطريقة متملكة على ذراع أوسكار.. رفعت نظرها فإذا بها أمام امرأة طويلة ذات شعر أحمر كث تتدلى خصلاته حول كتفيها. كانت ترتدي فستاناً من الحرير الموشى بالفضة، يلتصق بجسدها وكأنه جلد ثانٍ لها، مبرزاً بذلك مفاتنها. كانت تبدو في الخامسة والعشرين، علماً أنها أكبر من ذلك.

تجاهلت يونا تماماً وقالت لأوسكار:

ـ حبيبي.. لم أكن أعلم أنك هنا!

التوى فم أوسكار سخرية.

ـ كاتي.. كيف حالك؟

تحركت المرأة لتلتصق به:

ـ حبيبي.. ما هذا الترحيب! ما أروع أن أراك ثانية.

ركزت يونا اهتمامها على شرابها تحاول تجنب هذا الألم الذي يقطّع أحشاءها، انها الغيرة الحق. تساءلت عن هوية هذه المرأة وعن علاقتها بأوسكار اذ يبدو أن هذه العلاقة كانت يوماً أكثر من صداقة عابرة.

قالت المدعوة كاتي:

ـ ألن تدعوني للرقص؟ يجب أن أقدم استعراضي بعد قليل وليس لدي فترات استراحة بين الوصلة والأخرى.

عندما رفعت يونا عينيها، والتقتا بعيني أوسكار، أشاحت بصرها عنه مسرعة ولكنه جذبها عن كرسيها وقال:

ـ اسمحي لي أن أقدم لك فنانة مضيفنا الشهيرة كاتي دورمان.. كاتي هذه الآنسة يونا نولان.

لم تفت طريقة التقديم انتباه كاتي التي التفتت إلى يونا مبتسمة ونظرة الكراهية في عينيها. أدركت يونا أنها إنما تتصرف بأدب، لأن أوسكار موجود. وسرعان ما انتهى التعارف لتدير كاتي ظهرها من جديد ليونا وتقول:

ـ هل أنت مقيم على ظهر اليخت أوسكار؟

ـ أجل.. ومعي مايك.

بدت خيبة الأمل على وجهها.

ـ أوه.. ستبقى حتى الاستعراض دون شك.

ـ لست واثقاً.. هل ستبقين يونا؟

كان يعطيها الخيار عامداً ورغم رغبتها الشديدة في المغادرة، إلا أنها سمعت نفسها تقول:

ـ أعتقد أننا نستطيع البقاء لمشاهدة استعراض الآنسة دورمان. ماذا تقدمين بالضبط آنسة دورمان؟

انتفضت كاتي دورمان، وقالت مترددة:

ـ أنا.. أنا أغني طبعاً. ألم تسمعي عني من قبل؟

ـ أخشى أنني لم أسمع عنك شيئاً! كم سننتظر أوسكار؟

نظر أوسكار إلى ساعته الذهبية:

ـ حوالي عشر دقائق.. أليس كذلك كاتي؟

ـ وكيف لا تعرف الإجابة وأنت كنت تستمع إليّ دائماً.. والآن فلنرقص لقد مضى زمن طويل.

تنهد أوسكار وهو ينظر إلى يونا وكأنه يتوقع منها قول شيء.. ولكنها قالت:

ـ لا تأبه بي!

هز كتفيه تاركاً كاتي تقوده إلى حلبة الرقص، أما يونا فلم تلتفت إليه لأنها لا تريد رؤية هذه المرأة بين ذراعيه وهي تتعمد إثارته وتغريه بالكلمات والحركات.

أشعلت سيكارة قبلتها من راؤول الذي قال لها:

ـ وكأن كاتي أفسدت عليك الأمسية.

ابتسمت يونا غضباً:

ـ لا.. ولماذا تفسدها؟

رد بصراحة:

ـ لأنك تظنين أن أوسكار يفضلها عليك.

ـ أليس هذا صحيحاً؟

بدت السخرية على راؤول:

ـ أبداً.. إنها لا شيء بالنسبة له.. ولكن النساء يجرين وراء أوسكار لسبب واضح على ما أعتقد.

تفرست بكأسها مفكرة:

ـ أليست صديقة قديمة؟

ـ بل قولي صحبة قديمة عابرة. فمنذ سنوات حين كانت زوجته ومعارفها يأتون إلى مقهاي وبينهم كاترين حدث أن غنّت ليلة مع الفرقة للتسلية فقط، وبعد ذلك، حين كانت تحتاج للمال، كانت تطلب مني العمل. إنها جيدة.. لكنها لم تلتق بأوسكار إلا مؤخراً وحينذاك اكتشفت أنه زوج هيلين.

ـ أعتقد أنها غير متزوجة، أو ما شابه.

ـ إنها مطلقة. كانت متزوجة عندما كانت تأتي بصحبة هيلين.

ابتلعت يونا ريقها بصعوبة:

ـ فهمت إذن.

أبعدت شرابها جانباً ثم راحت تدخن بشراهة. ولمّا التفتت إلى حلبة الرقص شاهدت كاتي دورمان وأوسكار قادمان ومعهما زوجان آخران، يتحدثان إليهما.

وتناهى صوت كاتي إليها وهي تقول بخفة:

ـ ها هي! أوسكار حبيبي، أعطني سيكارة.. أكاد أموت شوقاً إلى سيكارة!

جلس رجل نحيل أسمر قرب يونا وقال لها:

ـ مرحباً مرة أخرى آنسة نولان.

رفعت يونا رأسها بحدة:

ـ أوه.. دكتور فريمان.

ـ نادني فرانسيس.. هل لي أن أدعوك يونا؟

أحست يونا بالراحة وهي ترى وجهاً مألوفاً، فابتسمت له:

ـ طبعاً.. كيف حال الآنسة بولتون هذا المساء؟

ـ إنها بخير.. رجاء لا تذكروني بالعمل فأنا أريد نسيانه بضع ساعات.

ضحكت يونا:

ـ ونسيان أولئك النسوة؟

ـ خاصة أولئك النسوة.

تعالت قهقهتهما.. فقالت كاترين:

ـ عظيم.. وكأنكما صديقان حميمان.. والمسكينة مايسي بقيت وحيدة.

ابتسم فرانسيس فريمان ليونا معتذراً ثم نهض ملتفتاً إلى السمراء الواقفة على مقربة منه. نهضت يونا فإذا بها تجد أن رفيقة الطبيب ليست إلا مايسي لويد ابنة المليونير الشهير. أما الزوجان الآخران فعروسان يقضيان شهر العسل في ميامي..

قالت كاتي بعد التعارف:

ـ اسمعوا.. علي الآن الذهاب لتأدية وصلتي الغنائية الحالية أما الوصلة الأخرى فأعتذر عنها لنذهب جميعاً إلى الكازينو... ما رأيك فرانسيس؟

نظر فرانسيس إلى يونا وعيناه تداعبانها:

ـ إنها فكرة رائعة.

أسبل فجأة أوسكار كتفيه واستقام:

ـ اخشى أنني ويونا، مضطران للاستغناء عن مشاهدة وصلتك.

قالت كاتي متوسلة، أمام عيني يونا المذهولتين:

ـ اوه.. لكن حبيبي...

قاطعها بحدة:

ـ لا أذكر أنني شاهدت عرضاً غنائياً في حياتي. هيا بنا يونا..

فلنتطلق.

بدت خيبة الأمل على فرانسيس فريمان:

ـ أوه يا أوسكار... هيا الآن.

ـ أراك غداً فرانسيس عندما أعود وميريل.

أحست يونا بأوسكار يقف خلفها دافعاً إياها بلطف إلى الأمام ومن ثم إلى خارج المطعم حيث ركن سيارته التي ما إن دخلا إليها حتى شعرا بما يشبه الألفة علماً أن الجو كان مكهرباً فيه توتر وترقب.

وضع أوسكار المفتاح في قفل المحرك، ولكنه لم يشغله بل قال:

ـ أليس المنظر رائعاً من هنا؟

كانت تمتد تحتهما مساحة هائلة من شاطىء ميامي، المنتشرة فيه الملاهي والنوادي والفنادق واليخوت وكأنها كتلة أضواء.

ـ أجل.. كم الساعة الآن؟ (كانت ترد بوجل).

ـ بعد الحادية عشرة بقليل. أتريدين العودة؟

ـ لا.. بالطبع لا. فما زال الوقت باكراً. لماذا لم توافق على

الذهاب إلى الكازينو مع الآخرين؟

ـ لأنني لا أريد صحبة أي منهم. فلو أردت ذلك لرتبت الأمر بيسر ولكن إذا كنت راغبة، فأنا على استعداد لأعيدك إلى ذراعي فرانسيس فريمان ومع ذلك، ما إن رأيته حتى رحت تمازحينه وكأنك تعرفينه منذ زمن بعيد. وأنا، الذي تعرفين عني كل شيء، تبقين حذرة مني حذراً يجعلني أشعر بالعذاب.

خفضت يونا يدها على معدتها المتألمة وصاحت:

ـ أوسكار!

ـ أهذا كل ما تستطعين قوله.. أوسكار.. أوسكار؟

ـ لا أعرف إلا أنه أعزب وأنك متزوج.

ـ متزوج.. متزوج! أتسمين ما مرّ بي منذ عشر سنوات زواجاً؟

أسند رأسه إلى ظهر مقعده فتأوه وكأنه مرهق. أحست أنها ما عادت تلك الفتاة التي خرجت هذا المساء خالية البال... فها هي الآن، شاءت أم أبت، متورطة بمشاكل هذا الرجل.

ـ لا.. لا أسميه زواجاً.

ـ ومع ذلك تعتبرينني غير صالح. هل ترين أن الفتيات الطيبات لا يختلطن مع غير الصالحين.

ـ لا تكن سخيفاً.. أنت لست كذلك.. أنت.. أنت.. جذاب جداً لا أقصد جسدياً.

ودنت منه كثيراً ثم طفقت تتأمل وجهه لحظات حتى أتتها جرأة كبيرة جعلتها تلمس وجهه.

فتمتم:

ـ يونا! أرجوك! لا تفعلي هذا! لا تجعليني أكره نفسي! فأنا من البشر.. يا إلهي!

ثم احتواها بين ذراعيه، فذابت عظامها بينهما حتى ما عادت تعي إلا قربه، وحتى باتت لا تشعر إلا به وحده.

كانت لحظة لم ترَ لها مثيلاً في حياتها فلم يسبق أن أشعرها عناق بإحساس كهذا.

عرفت في هذه اللحظات ما كانت تعنيه ميريل حين حذرتها من أوسكار.. فهي ليست قادرة على مقاومته فلو أراد لفعل بها ما يشاء دون أن تعترض أو تحتج ولكن أخيراً... دفعها أوسكار عنه قائلاً:

ـ حبيبتي.. ليس لديك فكرة عمَّا تشعلينه فيّ.

ارتجفت يونا فجأة.. فسألها:

ـ أتشعرين بالبرد؟

ـ لا.. كم الساعة الآن؟

ـ هل عندك وسواس اسمه الساعة؟ وما يهم إن جاوزت الثانية عشرة... ما بك؟ أنادمة لأنني عانقتك؟

ـ أنا.. أنا.. ما كان يجب أن أفعل هذا.

ـ ولمَ لا.. أتحسبينني لم أرده؟

ـ وهل أردت عناقي؟

ـ حبيبتي.. يجب أن تعرفي أنني أريدك وأن الجحيم الحقيقي هو في عدم قدرتي على الحصول عليك.

أدار وجهها إليه، يرد خصلات شعرها بأصبعه.

ـ أتذكرين المرة الاولى التي رأيتك فيها. حينما انزعجت لأنني لم أفعل ما طلبته مني؟

ـ أجل.. أذكر.. لماذا؟

ـ مذ ذاك الحين علمت أننا لن نكون لا مبالين تجاه بعضنا بعضاً. أردت أن أطلب منك لقاء ولكنني عدت فعدلت عن ذلك حين ذكرت ميريل انك مخطوبة.

ـ لكن لماذا؟ أنا فتاة عادية.

ـ عادية؟ أجل يمكنك قول هذا. عيناك عاديتان، ولكن فيهما شيئاً محدداً يجذبني أكثر من الجمال نفسه.

صمت قليلاً ثم قال بخشونة:

ـ علينا أن نعود. فليس مزاجي قادراً على تحمل جو الكازينو اليوم.

ـ إنما لو عدنا لانتهت السهرة.

وعادت السخرية إلى وجهه:

ـ أجل.. لانتهت.

شغّل محرّك السيارة، وقفل راجعاً إلى بيته.. كان الوضع بينهما للحظات قد بدا مختلفاً ولكنه لم يلبث أن عاد إلى طبيعته فعلى ما يظهر أنه لم يشأ الحنث بوعده الذي قطعه لميريل والقاضي بعدم إغواء سكرتيرتها.

يا لغبائها! كيف ادَّعت أمام ميريل أنها قادرة على التعامل معه.

إن ميريل أكثر دراية منها بهذا الجانب من أوسكار المحب، المقنع، الذي يستطيع جعل الفتاة تنسى كل شيء إلا الشوق إليه.

* * *

٩ ـ قلب لن يعرف السعادة

يقع مصح هانسون بين أملاك خاصة في ضاحية سان جايمس، قرب الحديقة العامة وهو بناء جديد فيه نوافذ واسعة وشرفات عديدة يستطيع المرضى الجلوس عليها طلباً لدفء شمس الربيع المنشطة.

يدير هذا المصح الدكتور دايفد هانسون وهو رجل في أواخر العقد الرابع من عمره كان قد درس الطب النفسي قبل أن يفتح المصح أما مرضاه فهم بمعظمهم من الطبقة الراقية، ممن خرجوا عن الحدود مؤقتاً لسبب أو آخر.. وبينهم حالات تفوق حالة هيلين شدة.

ركزت هيلين فترة اهتمامها على الطبيب الذي أوضح لها بأنه رجل متزوج يحب زوجته ويرفض ما تطلب وقد ذكر ما عرضته هيلين عليه أمام أوسكار، الذي أحرج حرجاً شديداً.

وصل أوسكار إلى المصح بعد ساعتين من هبوط طائرته في لندن فانتظر في الردهة ليقابل الدكتور هانسون الذي يجب أن يراه قبل أن يرى هيلين وذلك لمعرفة تقدم حالتها الصحية قبل أن يقدم على طلب الطلاق.

انفتح الباب وخرجت منه ممرضة بشوش وجهها.

ـ تفضل من هنا لو سمحت!.

ولحق بها حتى أدخلته إلى مكتب يقع في الجهة الأخرى للقاعة، فأشارت إلى باب يقود إلى مكتب آخر في الداخل:

ـ سيراك الطبيب حالاً.

هز رأسه شاكراً.

ـ شكراً لك.

وطرق الباب ثم دخل مكتب دايفد هانسون الذي بادره على الفور بالتحية:

ـ مرحبا أوسكار.. كيف حالك؟

ـ بخير.. شكراً لك.

ثم جلس كل منهما في مقعد مقابل للآخر. وسأل أوسكار:

ـ والآن.. كيف حالها؟

ـ حسناً.. بصراحة تامة لولا وصولك اليوم لاتصلت بك فرغبتها في الانتحار باتت جلية.

ـ ماذا؟ ولكن عندما قابلتك في المرة الأخيرة، جعلتني أعتقد أن هذا جزء من مرضها، وانها حين تتخلص من حالة الاكتئاب ستعود إلى طبيعتها.. من المفترض أن الدواء... حسناً دايفد.. أتمّ كلامك.

بدا الاضطراب على دايفد هانسون.

ـ إنها في حالة اكتئاب شديدة حالياً. حين تحدثت إليها سابقاً ظننت أن حالتها مؤقتة ستتحسن ولكن لسوء الحظ أن سبب حالتها تلك تعود إلى ذلك الرجل.. بوب ديكنسون.

تنهد أوسكار وهوى إلى الخلف في مقعده:

ـ ماذا؟ هل نبذها من جديد؟

ـ أظن هذا. لا تكن على هذه الحال فليس الأمر بيدك.

ـ ماذا تقول؟!.. كنت سأطلب منها الطلاق اليوم.

حدق فيه هانسون:

ـ طلاق! هكذا إذن! أليس خبراً مفاجئاً لم تذكر شيئاً عن الطلاق من قبل.

ـ أعلم.. فهذه الأمور تحدث في بعض الأحيان فجأة.

ـ أتريد الزواج بأخرى.. على ما أعتقد؟.

ـ أجل.. علماً أن لا حق لكِ في السؤال.

ـ أعرف.. ولكنني أعتقد أن الوقت غير مناسب فقبل شهرين من الآن كانت سترحب أشد ترحيب به. أمّا الآن بعد أن تخلى عنها ديكنسون و...

قاطعه أوسكار بغضب:

ـ إنه طفيلي لا يريد سوى مالها.

ـ اوه.. أوسكار.. ماذا أقول؟ لماذا بحق الله لم تطلقها منذ سنوات؟

ـ لأنني أحسست بالأسى عليها ولأنني لم أتصور أنني سأقدم على الزواج ثانية.

تنهد هانسون.

ـ أفهم هذا...

ـ ماذا عن هيلين؟ ماذا حدث لها حتى أردت استدعائي؟

ـ حاولت إغراق نفسها في مغطس الحمام.

ـ لكن هذا مستحيل!

ـ ليس مستحيلاً إذا تجرعت عدة حبوب منومة في آن، إن هذا الميل ظهر منذ أن تركها ديكنسون ونحن في المصح بغنى عن فضيحة كهذه.

ـ أفهم وضعك. آسف إن غضبت غير أنني أردت التحرر منها وإلى الأبد.. متى أراها؟

ـ لقد أرسلت أستدعيها.

وانفتح الباب فجأة.. فقال دهشاً:

ـ هيلين..! منذ متى وأنت في الخارج؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجهها وهي تنظر إليهما:

ـ رائع.. رائع! الشريكان المذنبان!

رد الطبيب محاولاً ضبط أعصابه والسيطرة عليها.

ـ لا أفهم قولك.. أين الممرضة باول؟

دخلت هيلين الغرفة وأقفلت الباب وراءها...

ـ لقد أرسلت تستدعيني حبيبي ثم أوصلتني إلى مكتبك متوقعة أن أدخل مباشرة إلا أنني تريثت قليلاً كالعادة لأسترق السمع وهي عادة قديمة فكان أن سمعت ما لا يرضيني.. إذن العزيز الحبيب أوسكار يريد الطلاق.. إن هذا لمذهل.

استعاد أوسكار رباطة جأشه كما فعل الطبيب:

ـ كنت تحبين دائماً مفاجأة الناس هيلين إلا أن مفاجآتك لم تكن قط مرضية.

هزت كتفيها وسألت بحدة:

ـ لماذا جئت؟ أتيت تطلب الطلاق؟ أم أرسل دايفد يستدعيك. إنه هو دون شك من استدعاك إذ لا أتصور أبداً أن أوسكار البارد قد تدفعه رغبته في امرأة ما للإسراع لنيل إذني. فهذا في مطلق الأحوال غير ضروري، نظراً للظروف التي أعيشها.

ـ أنت رغم ما تفعلينه بي هيلين زوجتي وإن اسمياً فقط. لذا أجد أن من باب المجاملة استئذانك في أمر يتعلق بنا شخصياً.

بدا القلق على دايفد.

ـ اسمعا.. سأترككما وحدكما. علي رؤية بعض المرضى سأعود فيما بعد لتطلعاني على قراركما.

نظرت إليه هيلين ببرود:

ـ ولماذا يطلعك؟ أنت طبيبي لا محاميّ.

قبل أن يخرج دايفد رفع كتفيه ثم نظر إلى أوسكار، فقالت هيلين بصوت خفيض:

ـ يا إلهي! ألا تستريح أبداً؟ أيجب أن يكون كل ما تقوم به كاملاً؟

رد أوسكار بهدوء:

ـ لا أجد الراحة معك.. اسمعي فلنطرق مباشرة إلى الأمور

العملية.. أنا أحسبك تعارضين فكرة الطلاق؟

التفتت إليه وقالت ساخرة:

ـ حسناً أوسكار، الطلاق يعتمد عليك.

فتح يديه متسائلاً.

ـ كيف يعتمد علي.. اعلمي أني سأستمر في دعمك مادياً إذ لا أتوقع أن تعيلي نفسك في أي وقت...

ـ يا لنبلك! ولكن لسوء الحظ ليس هذا كل ما أريد.

ـ ماذا تعنين؟

صمتت قليلاً، ثم قالت بهدوء:

ـ أريد مايك..!

ـ أنت مجنونة!

دنا من الطاولة ليسند يديه عليها.. فسألت هيلين:

ـ ولماذا تتهمني بالجنون ألأنني أريد ابني؟

ـ ولماذ تطلبينه الآن؟ أنت لم تهتمي به من قبل.

ـ وهل ظننتني أوافق على الطلاق من غير شروط بل لماذا أسمح لك بالزواج من فتاة غريبة؟

ـ ولِمَ لن توافقي ما دام زواجنا فاشلاً منذ سنوات طوال؟ يا إلهي! بإمكاني إثبات هذا بسهولة.

ـ أجل.. يمكنك هذا.. ولكنك لن تفعل لأنك تخشى الفضيحة فلو تقدمت بدعوة لأطبق عالمك الصغير على رأسك!

ـ لا أعبأ بعالمي بل بمايك. أتظنين أنني أقبل بأن يترعرع اسم ديسموند في الوحل؟ أتظنين أنني أقبل بأن يعاني مايك العذاب من جرّاء التشهير بأمه المدمنة!

ـ ما دام الأمر كذلك فدعني آخذ مايك الذي يكاد لا يعرفني.

ـ لا.. لا.. أفضّل القيام بأي شيء عدا وضع يديك على ذلك الصبي فأنت لا تريدين أخذه إلا نكاية بي! يا إلهي هيلين.. أعرف أنك

ضعيفة وأنانية، ولكنني ما علمت أنك حقودة شريرة أيضاً. أنت تعلمين أنك لن تربحي دعوة حضانته لأن ما من محكمة قد تتخذ قراراً لصالحك. أفلهذا تتخذينه شرطاً للموافقة على الطلاق.. ولكنني آسف، لن أوافق!

ـ حسناً.. هذا شأنك!

شد أوسكار قبضته بقوة ثم أشعل سيكارة.. لن يؤلم مايك ويجرح كبرياءه فقد تألم كثيراً، ألم يدمر بيته؟ ألم ينضج قبل أوانه؟ ولكنه أيضاً لن يسمح لهيلين بالوصاية عليه ثانية.

عمر مايك حساس وهو في هذه المرحلة يستعيد توازنه وذلك بفضل يونا التي تعمل بروحها المرحة على إخراجه من قوقعته، فلو عاد إلى جحيم هيلين وحياتها المجنونة، لحطمت حياته شر تحطيم.

ـ اسمعي هيلين.. أنت لا تريدين مايك ابن الخامسة عشرة الذي يحتاج من هم في مثل عمره إلى الرعاية والتسلية وماذا عن أصدقائك الذين سيجدون أن لك ابناً في طور الشباب. ترى ألن يروا أنك أكبر مما تدعين.. اسمعي أنا مستعد للتعويض عليك سأضيف إلى نفقتك مئة ألف دولار نقداً.

ضحكت هيلين وهزت رأسها.

ـ لا أريد مالك. فأنا أعلم أن أي مبلغ تدفعه لي ما هو إلا قطرة في بحر ثرائك أما الثقة بك فغير واردة عندي لذا إن بقي مايك معي أجد فرصة.. لكن يا إلهي! أوسكار.. لم أكن أعرف أنك قد ترغب في امرأة إلى هذا الحد! عجباً.. أين أخطأت التقدير؟ هل لنا البدء من جديد لنكتشف موضع الخطأ.

ضحكت ثم أردفت.

ـ أوه، لا تقلق أوسكار لأنني لا أعني من قولي شيئاً. هناك رجل واحد أريده.. وهو لا يريدني.

ـ بوب ديكنسون.

ـ بالضبط.. وهو سيعود. أعرف أنه سيعود.

أحس أوسكار بالغثيان عليها ثم لما رجع دايفد شعر بالراحة فهو الآن قادر على الرحيل، إذ لا شيء يقال أو يُفعل.

كانت يونا مستلقية على سطح إلسي وولف مرتدية ثوب سباحة مؤلف من قطعة واحدة وهي فيه جميلة وصغيرة تشع صحة وعافية ولكن عينيها عكستا الألم الذي شعرت به عند رحيله المفاجيء. كان هذا منذ يومين، لقد غادر في الصباح التالي وذلك بعد الليلة التي أمضياها معاً. ربما لم يطق البقاء معها على المركب لم تجد يونا شيئاً آخر دعاه إلى الرحيل إلا عدم رغبته في رؤيتها فهو يعتقد أنها نزوة عابرة ولا يريد أن يعاملها إلا على ذلك الأساس.

ذلك الصباح كتبت رسالة إلى رايز، تقول له فيها للمرة الأخيرة إن كل شيء بينهما انتهى. وها هي الآن موقنة من عدم العودة إلى رايز وإن تغير كل شيء.

عندما وصل مايك بغتة ورمى نفسه على مقربة منها ذُعرت قليلاً.

ـ هل ستزورين ميريل بعد الظهر؟.

ـ نعم.. لماذا؟ أتريد مرافقتي؟ لقد سألت عنك بالأمس.

ـ حسناً بعد سفر أبي المباغت ما عاد هناك ما يشغل بالها. أتساءل لماذا سافر بسرعة فهو لم يسافر طبعاً بغية العمل لأنه لم يصحب سكرتيره جورج معه...

ـ لماذا لا تسأل جورج اذن؟

ـ سألته، فكان جوابه اسأله حين يعود.

ـ وهل سيعود؟

ـ هذا ما قاله جورج ولكن إن خرجت ميريل من المستشفى غداً كما تأمل فلن يبقى.

نظر إلى ساعته، ثم أردف قائلاً:

ـ حان موعدالغداء، وأنا جائع.. متى ستزور ميريل؟.

ـ في الثالثة والنصف.. هل أنت قادم؟

ـ أعتقد هذا.. ولكنني لا أعرف ما يجب أن أقول لمريض في المستشفى. أشعر أن حديثي سيكون مصطنعاً.

قُدم الغداء في الصالون الصغير لهما ولجورج الذي منذ وصوله إلى اليخت تخلى عن البروتوكولات وعن ثيابه الرسمية وأصبح عفوياً محبباً إلى النفس.

عاد الساقي الذي كان يقدم الطعام فجأة ليقول:

ـ عفواً.. ثمة شاب في قارب سريع يطلب الاذن بالصعود وهو يقول إنه صديق الآنسة نولان.

ـ صديقي؟ وهل ذكر اسمه؟

ـ أظنه قال إنه السيد هنتر.

شحب وجه يونا فسألها جورج باهتمام حقيقي:

ـ يونا.. ما بك؟ أتعرفين هذا الرجل؟

ـ أجل.. كان خطيبي.. ولكنني لا أفهم سبب مجيئه.

ـ أتريدين أن أتعامل معه؟

وقفت يونا تهز رأسها.

ـ لا.. لا.. بالطبع لا.. سأقابله.

توجهت بسرعة إلى سطح المركب يتقدمها الساقي. ما إن وطئت قدماها سطح المركب حتى استحوذ عليها القلق فقد وجدت رايز واقفاً ينظر حوله باهتمام. حين شاهدها دنا منها قائلاً دون مقدمات:

ـ أهناك مكان نستطيع فيه التحدث دون أن يزعجنا أحد؟

ردت يونا بهدوء:

ـ ليس بيننا ما يُقال، لقد كتبت لك رسالة أقول لك فيها ما يجب أن يقال.. أنا آسفة رايز، إذا كان هذا ما جئت من أجله، فلقد قمت برحلة لا لزوم لها.

صاح بها والغضب ظاهر عليه.

ـ بالطبع جئت لأجل هذا.

أحست يونا أن من الخير لهما الابتعاد عن عيون الطاقم الفضولية، فقالت:

ـ حسناً سنذهب إلى غرفة الجلوس التي ليس فيها أحد.

ـ جيد تقدميني.

عندما قعدا في غرفة الجلوس قالت:

ـ أتريد شيئاً؟ شراباً بارداً منعش؟

ـ إذا سمحت.. والآن ماذا تقصدين بتلك الرسالة التي صعقتني بها.

ـ ألم تكن تعلم أن علاقتنا كانت قبل سفري متردية؟

ـ ولكنك منذ أسبوع كتبت لي رسالة تطلبين مني موافاتك إلى هذا المكان.

ـ أعرف.. وكان أمراً غبياً أسفت عليه. وقد أثبت ردك لي أنك تهتم بالمال، أكثر من اهتمامك بمستقبلنا وسعادتنا. ثمة أوقات يا رايز لا ترى فيها الحطب في الشجر. لقد رفضت ببساطة تقبل الأمر الحتمي. ألا ترى أن الواحد منا لا يليق بالآخر؟

ـ لا أرى! إلا أنك منذ قابلت أوسكار ديسمور تبدلت من فتاة عاقلة إلى.. إلى...

فكر قليلاً حتى وجد الكلمة المناسبة.

ـ انظري إلى هذا الزيّ الذي ترتدينه! إنه لا يليق بك.

ـ لا تكن سخيفاً رايز.. الطقس حار علي ارتداء ملابس محتشمة هنا. ولكن ما علاقة ما أرتديه بنقاشنا؟

رد رايز واثقاً من نفسه:

ـ سنتزوج يا يونا وسنعيش مع أمي حتى أتمكن من شراء منزل جميل حقاً لا يشبه تلك الشقق الصغيرة التي كنا نفكر فيها.

ـ لا رايز.. آسفة فهذا غير وارد الآن. فأنا لا أحبك، ولو كنت

أحبك لما وافقت على الإقامة مع أمك، ما دامت فيه. أحمد الله لأنني أدركت حقيقة مشاعري فلولا لقائي بأوسكار.

ـ أوسكار.. أوسكار! أهو هنا الآن؟

ـ لا.. ليس هناك من أحد غير مايك وجورج مساعد أوسكار..

أصيبت ميريل بحادثة نُقلت على أثرها إلى المستشفى وهي ستعود غداً. أمسك رايز بكتفيها.

ـ حقاً.. يبدو لي أننا وحدنا اذن. وأظن أن جورج هذا لن يقاطعنا لو قضينا وقتاً ممتعاً معاً.

تحركت يونا نحو الباب:

ـ أرى أن الشمس أثرت في عقلك. أرجوك اذهب قبل أن تدفعني إلى مناداة أحد أفراد طاقم المركب رايز.

صاح بها:

ـ لن تجرؤي على هذا!

ـ أخشى أنني مضطرة. رجاءً رايز ارحل.

ـ أتتوقعين الزواج بهذا.. الرجل؟ الرجل المتزوج!.

ـ لا.. لا أتوقع هذا.. سأبقى سكرتيرة ميريل.. فهي راغبة في القيام برحلة حول جزر البهاما وأنا سأرافقها.

ـ وماذا عن جاين؟

ـ ستتزوج بيرس هاريسن وهذا يعني أنها لن تحتاجني أما حين أعود فسأجد من تشاطرني الإقامة في الشقة.

فتحت الباب وانتظرته ليلحق بها وهذا ما حدث بالفعل منه ولكنه كان غاضباً متردداً، فلما بلغا ظهر المركب ورأى الهواء يداعب شعر يونا اسود وجه رايز فقد أدرك جسامة ما خسر. حين اقترب من سلم المركب تمهل قليلاً، وكأنه يفسح الطريق لشخص ما يكمل صعوده.. وكان القادم أوسكار الذي بدا صغيراً جذاباً كثر من ذي قبل.

ضاقت عيناه وهو يرى رايز:

ـ مرحبا هنتر.. أجئت في زيارة؟
ـ لا.. وأنت؟
ـ ألم تخبرك يونا؟
ـ قالت إنك غير موجود وكانت مخطئة على ما يبدو.
تنحى أوسكار عن طريقه:
ـ حسناً.. لن أؤخرك.
ـ شكراً لك.. لن أتأخر.. وداعاً يونا.
ـ وداعاً رايز.
ما إن ابتعد القارب برايز عائداً إلى الساحل حتى تقدم أوسكار إلى يونا.
ـ أنت لم تضيعي وقتك البتة.. لماذا أرسلت في طلبه؟
ـ قد يدهشك إن عرفت أني لم أرسل في طلبه.
ـ لماذا جاء إذن؟ ألم يرفض القدوم سابقاً؟
ـ لقد رفض فعلاً.. الغداء بالانتظار، سأبلغ الخادم بوصولك.
أمسك بيدها:
ـ لا تذهبي.. فأنا مصمم على معرفة حقيقة زيارته، وكلما سارعت في اخباري كلما كان هذا أفضل لمصلحة الجميع.
ـ حسناً.. فلننزل إلى غرفة الجلوس لأنني لا أريد التباحث معك في أمور خاصة على ظهر المركب.
أغلق أوسكار باب المقصورة، ثم تقدم إلى البراد ليتناول علبة مرطبات باردة.
ـ أتريدين شيئاً.. لا.. حسناً، فلنطرق صلب الموضوع. لماذا وفد علينا؟
ـ كتبت له رسالة أخبره فيها بأن علاقتنا انتهت.. لقد جعلتني ميريل أدرك أن السبب الحقيقي لقبولي الزواج به هو رغبتي في منزل يؤمن لي الطمأنينة والأمان أما الآن فأرى الأمور بطريقة مختلفة فميريل

على حق في ما قالت إنه ضعيف تسيطر عليه أمه. أظنه أتى يطلب رؤيتي معتقداً أن الهدف من رسالتي حثه على المجيء.
ـ وما النتيجة؟.
ـ قلت له إنني عازمة الرأي على الانفصال فعاد راجعاً من حيث أتى.. وهذا كل ما لدي.
ازدرد أوسكار شرابه ووضع العلبة الفارغة على الطاولة.
ـ وأنا؟ أليس لي علاقة في ما جرى؟
ارتجفت، فهو يستحق أن يعرف الحقيقة.
ـ أجل.. أنت تعلم أن لك علاقة وثيقة في ما جرى.
أطبقت ذراعاه حول جيدها وضمّها بلطف، ثم ازداد ضغطه بشغف فالتفت ذراعاها حول خصره قريباً من دفء قلبه الخافق وراحت تهمس إليه.
ـ اوه يا أوسكار.. أحبك.
ـ ذهبت أطلب من هيلين الموافقة على الطلاق.
ارتدت يونا إلى الوراء ونظرت إليه:
ـ أوسكار! طلاق؟ من أجلي؟
ردّها إلى ذراعيه:
ـ أجل.. من أجلنا معاً يا يونا. أريد الزواج بك ولكن حالتها لسوء الحظ غير مرضية أما شروطها فلا يمكن أن الموافقة عليها.
شهقت يونا:
ـ مايك؟
ـ وكيف عرفت؟
ـ تكهنت ذلك لأن السلاح الوحيد الذي قد تحاربك به هو مايك.. ولكن ما من محكمة قد تسمح لها بحق الوصاية عليه.. أليس كذلك؟
ـ أبداً.. وهذا ما تعرفه جيداً. هي تريد أن أعهد مايك إليها مقابل الموافقة على الطلاق. إنها تعرف أنني لن أطلقها دون موافقتها وذلك

من أجل مايك الذي لا أريد أن يعاني الذل العلني الذي قد تسببه المحاكم له.

ـ حسناً.. إن وجودي معك في نيويورك سيجلب لك مزيداً من الحرج والريبة.. ولكن لو تمكنا من السفر إلى مكان آخر، بعيداً عن القال والقيل.. فلن يهمنا..

ـ إذا كنت تقصدين ما أفكر فيه.. فالرد لا.. أتظنين أنني أقبل بأن تصبحي عشيقتي؟

ـ ماذا الآن اذن؟

هز كتفيه العريضتين.

ـ ستستمرين في العمل مع ميريل، وسأستمر في دفن نفسي في عملي، حتى يأتي يوم ما.. من يعلم؟ قد تلتقين فيه شخصاً آخر.. حرّاً.. يستطيع تقديم ما لم أقدّمه لك.

دفنت يونا وجهها في يديها والدموع الساخنة تنهمر من بين أصابعها.

ـ لا.. أرجوك أوسكار.. لا تقل هذا بل لا تفكر فيه حتى، ولن أتزوج بشخص آخر أبداً.

ـ ألا تعلمين أن مجرد التفكير في أنك مع شخص آخر يثير في جنوني؟ لكنك صغيرة، والحياة أمامك، بينما حياتي أنا باتت في فوضى عارمة.

ـ لكنك لست الملوم.

ـ قلت هذا لنفسي.. ولكنني أتساءل، لو أن رجلاً آخر جلب السعادة إلى هيلين، أكانت خرجت عن طورها؟ سأبذل جهدي مبتعداً عن طريق ميريل، لئلا أسبب لك حرجاً.

التفتت إليه.

ـ لا.. أرجوك! أريد أن أراك دائماً، فلا تتجنبني.. أرجوك!.

وقف أوسكار، ينظر إلى رأسها المحني بحنان.

ـ هيا اذهبي من هنا.. قبل أن ألمسك مجدداً.

سارت يونا ببطء إلى الصالون الصغير فلما وجدته فارغاً قصدت غرفتها حيث ارتمت على السرير تاركة الدموع تنهمر من عينيها بغزارة.

* * *

١٠ ـ بعد عام

عادت ميريل من المستشفى إلى اليخت بعد ظهر اليوم التالي وكاحلها ما يزال مضمداً وقفصها الصدري كذلك ولكنها كانت مستريحة مرحة رأسها مفعم ببضع أفكار بشأن قصة جديدة.

انهمر المطر صباحاً ولكن الجو عاد فتبدل بعد الظهر وظهر عليه دلائل التحسن قليلاً وشعر مايك بالقلق لأنه لم يعد قادراً على السباحة أو اللعب.. بل راح يتبع يونا كظلها حتى كادت تصرخ...

ـ بالله عليك مايك... خذ كتاباً اقرأه وتوقف عن ملاحقتي!.

نظر إليها دهشاً:

ـ ما بك؟ لست عادة هكذا. ألا ترحبين بعودة ميريل؟.

ـ بلى ولكنني متضايقة ليس إلا.. فاتركني وحدي رجاءً أرجوك.

تمتم ساخطاً وقد بدا عليه الانزعاج:

ـ أبي يتصرف كدب يؤلمه رأسه وأنت لا تطيقين النظر إلي.. أرى أن أفضل شيء لي في الوقت الحالي أن أكون مع أمي.

صاحت:

ـ هذا غير صحيح.. لا شأن لك بهذا كله مايك.

ـ لقد فاض بي الكيل.. أتعلمين أن أبي سافر ليرى أمي؟

ـ أجل.. أعرف.. لماذا؟.

ـ لأن لا أحد يخبرني شيئاً.

ـ كيف عرفت اذن؟

ـ سمعت جورج وأبي يتحدثان وقد تساءلت عما دفعه للسفر وهو لم يكد يصل إلى ميامي. أتعتقدين أنها بخير؟

ـ أظن هذا.. ولكن لا شأن لي بها.

ـ هذا ما أعتقده... ومع ذلك أتمنى لو أعرف الحقيقة.

ما إن وصلت ميريل واستقرت في مقصورتها حتى أرسلت تستدعي يونا.

ـ وكأنك مريضة. ما خطبك؟

ـ لا شيء إن السبب دون شك تبدل الطقس. كيف حالك الآن؟.

ـ دعك مني.. ما بك؟ السبب اوسكار، أليس كذلك.

فتحت يونا يديها وراحتيها:

ـ لماذا تسأليني ما دمت تعرفين؟.

ـ لأتأكد يا يونا... يونا.. ماذا قلت لك؟

ـ الأمر ليس كما تظنين. إن أوسكار يحبني وقد طلب من هيلين الموافقة على الطلاق ولكنها رفضت.

ذهلت ميريل تماماً.

ـ هل أنت جادّة؟

ـ طبعاً جادة. ولكن ما الفرق ما دام أوسكار لن يحظى بالطلاق بسبب الأساليب الملتوية! إنه مسافر غداً لهذا السبب.

ـ يا الله. لا أصدق! إنه لا يحتاج موافقتها على الطلاق.. فله الحق كل الحق فيه.

ـ قانونياً.. أجل. لكنه لن يفعل هذا بسبب مايك. فلو اعترضت لأثارت فضيحة علنية.

ـ فهمت وهو على حق طبعاً.. إنما كيف تستطيع اتخاذ هذا التصرف بعد هذه السنين كلها؟

ـ لا أدري.

ـ ماذا أقول؟ ليت بيدي حيلة ما للمساعدة. ماذا ستفعلين الآن؟

هل ستستمرين في العمل عندي.

ـ أجل.. إذا كان هذا يناسبك.

ـ ما هذا الهراء! طبعاً أريدك.. ولكنني لم أرد أن تتزوجي بهنتر. لقد أخبرني مايك بقدومه يوم أمس.

ـ أجل جاء بعد أن كتبت له رسالة أبلّغه فيه قراري الأخير الذي مفاده أن علاقتنا انتهت.

ـ أما زلت عازمة على قرارك بتركه بعد أن علمت أن أوسكار لن يتحرر؟

ـ هذا ما كان عليه قراري حتى قبل أن أعرف أن أوسكار جاد في علاقته. فبعد ما عرفت حقيقة مشاعري تجاه أوسكار أدركت أنني لن أستطيع الزواج برايز أو بأي رجل آخر كما عرفت أنني لن أستطيع الزواج.. إلا إذا قررت هيلين الموافقة على الطلاق بعد سنوات وحينذاك قد يعود إليّ.

ـ يا عزيزتي.. ما عساي أقول؟

لم يتناول أوسكار فطوراً في الصباح التالي.. كان في مقصورته يوضب أوراقه في حقيبة حين قُرع الباب الذي دخل منه الساقي بعد الاستئذان.

ـ هناك سيد يريد رؤيتك سيدي.. يقول إن الأمر ملحّ أما اسمه فبوب دكنسون..

وضع أوسكار حقيبته من يده ببطء.

ـ هل أنت متأكد من الاسم؟

ـ طبعاً سيدي.. هل ستقابله؟ أم أقول له إنك مشغول؟

ـ اوه لا... سأقابله بورتر.. ارسله إليّ ولكن رجاءً لا تسمح لأحد بإزعاجنا.. أفهمت؟.

ـ أجل سيدي.

عاد الساقي بورتر بعد لحظات ومعه رجل طويل نحيل ذو شارب

أسود. لم يكن أوسكار قد رآه من قبل إلا أنه تعرف إلى الطراز الذي تهواه هيلين.. ماذا ترى في هذه المخلوقات بحق الله؟.

دخل الرجل مبتسماً ابتسامة تملق ولكن أوسكار بقي مقطب الجبين:

ـ حسناً؟ ما سبب مجيئك؟ هل الأمر متعلق بهيلين.

ـ أجل.. هل لي أن أجلس؟ أظن أن ما سأقوله قد يهمك.

ـ تفضل.. اجلس.

ـ ألا تريد الطلاق من هيلين؟

ـ طبعاً أريده.

ـ حسناً... أنا في موقف أستطيع منه تحقيق ما تريد.

ـ ادخل في صلب الموضوع مباشرة.

ـ تريد هيلين الزواج بي.. في البداية لم أكن مهتماً، لأن نفقتها ليست بمغرية أبداً.

ـ إنها تأخذ شهرياً ثلاثة آلاف دولار.

ـ صحيح... ولكن بالنسبة لأسعار اليوم... على كل، فلنتابع لقد عرضت دفع مبلغ نقدي لها إذا وافقت.

ـ صحيح.. مئة ألف دولار.

لم يكن أوسكار يصدق ما يسمع، فليس هناك رجل في الوجود يعرض على زوج عشيقته عرضاً كهذا!

ـ اوه.. إنه مبلغ سخي.

ومرر لسانه على شفتيه بشره ثم أردف:

ـ حين اتصلت بي هيلين وأخبرتني به جعلني المبلغ أعيد التفكير... في قراري...

تمتم أوسكار غاضباً:

ـ أنت خنزير قذر.

ـ ربما.. إنما هذا ما تحبه هيلين!

أراد أوسكار رميه خارجاً ولكن شيئاً ما منعه:

ـ وكيف لي أن أعرف أنك صادق في قولك؟

ـ اسأل هيلين!

ـ هيلين؟

في هذه اللحظة بالذات انفتح الباب ودخل منه مايك:

ـ أبي.. هل لي أن أكلمك لحظة؟ أوه.. لم أكن أعلم مشغول.

ـ ليس الآن مايك.. أنا مشغول حقاً.. ارجع بعد ربع ساعة.

نقل مايك بصره من ديكنسون إلى أبيه ثم رفع كتفيه وخرج... فتنفس أوسكار الصعداء لأنه لا يريد مايك أن يعرف شيئاً عما يجري في الغرفة.

ـ أتمّ حديثك.. قلت إن هيلين... أهي هنا في ميامي؟

ـ أجل.. تقيم في فندق «ميامي بيتش» منذ ليلة أمس.

ـ ولكنها كانت في المصح قبل ثلاثة أيام.

ـ وهل تعتقد أن في الكون مصحاً يستطيع حجز هيلين فيه إن أرادت الرحيل لقد خرجت لأنها تعتقد أنك لن تصدقني وتخشى أن يفشل مسعاها.

ـ يفشل مسعاها؟ هيا يا رجل.. قل ما تريد.. لا أصدق أن الأمر بسيط كما تدعي.

ـ هيلين تريد الزواج بي.. صحيح؟

ـ حسناً؟

ـ سأتزوجها إنما هذا الزواج لن يتم إلا على يديك.

ـ بالله عليك يا رجل.. قل ما تريد.. سبق أن قلت لها إنني لن أتخلى عن مايك..

ـ إنها لا تريده! ولو ادعت ذلك فهي كاذبة.. المال هو همها الأوحد. ما اشترطت عليك أخذ مايك إلا لتغيظك.

ـ أعرف هذا.

ـ حسناً.. ما رأيك إذن بنصف مليون دولار، أهو ثمن عادل؟

حدق فيه أوسكار بازدراء.

ـ أتقصد أنها توافق على الطلاق مقابل نصف مليون؟ هل انحدرت إلى هذا الدرك.

تحرك ديكنسون بقلق:

ـ هيا الآن هذه ليست نظرة رجل أعمال إلى صفقة ما تعرف هيلين ما ستعطي وما ستأخذ لذا تفكر في سعر أفضل من ذلك الذي عرضته عليها.

ـ بل قل إنك فكرت.. لقد جُنت تلك المرأة.. ما الذي تراه فيك؟

وقف ديكنسون محتجاً:

ـ لا أريد كلاماً لا يرضيني. اذهب وقابلها إن كنت تكذبني وهي ستكون سعيدة بوضعك عند حدك لأنك إن رفضت طلبنا، ستثير المتاعب لك فأنت تقيم هنا على اليخت مع الفتاة التي تود الزواج بها.

ـ وكيف عرفت؟

ـ زرنا أحد النوادي بالأمس، وقابلنا صديقة لك.. كاترين دورمان.

ـ حسناً.. ما دام المال على هذه الأهمية عند هيلين فلا أحسبها تعرّض نفقتها لخطر التشهير بي لأنني عندئذٍ لن أدفع لها سنتاً واحداً.

ـ ربما أنت على حق.. ولكنها تملك روح مغامرة قوية لذا أنصحك ألا تخاطر.

ـ سأقابل هيلين إنما لا أعد بشيء.. انتظر هنا.. سأغيب لحظة فقط.

في الخارج شاهد يونا التي سألته متجنبة النظر إليه.

ـ أرأيت مايك؟

ـ جاء يراني قبل ربع ساعة فوجدني مشغولاً. لماذا؟
ـ لقد اختفى.. بحثت عنه في كل مكان سأسأل عنه ماكس.
ـ سآتي معك. هولا يختفي عادة بهذه الطريقة.
عندما سأل ماكس وأفراد الطاقم عنه أجابوا أنهم جميعاً لم يروه أيضاً.
ما إن سمع أوسكار هذه الردود السلبية حتى شعر بالقلق فقد خشي أن يكون قد استرق السمع إلى حديثه مع ديكنسون وعلم أن أمه هنا في ميامي.
أمسك يونا من ذراعها وانتحى بها جانباً:
ـ هيلين في ميامي. هل يعقل أن يكون قد انطلق يبحث عنها؟
ـ أيعرف أين يجدها؟
ـ ربما استرق السمع إلى حديثي مع ديكنسون.
ـ لم يكن راضياً لأنك لم تطلعه على زيارتك لها مؤخراً.
ـ من يدري؟
دنا أحد السقاة منهما مسرعاً.
ـ ثمة قارب أخذ عن ظهر المركب، ومن الممكن أن السيد مايك هو من استخدمه للوصول إلى اليابسة.
ـ ممكن.. يونا. تعالي معي فهذا أمر يهمنا معاً.
كان فندق ميامي بيتش من الفنادق الفخمة الذي قرأت عنه في المجلات وهو ذو ديكور فضي غني باللونين الأزرق والأحمر.
حجزت هيلين وصديقها جناحاً في الطابق الأول، وبما أن ديكنسون كان معروفاً للعمال، فقد وصلوا بسرعة إلى الطابق الأول حيث تقدم أوسكار تاركاً يونا وديكنسون خلفه، وحين وصل إلى الجناح دفع الباب فإذا بمايك أمامه وعلى وجهه ملامح الصدمة، فعلم أوسكار أنه تأخر كثير في منعه من اكتشاف الحقيقة.
وقفت هيلين مرتدية غلالة نوم خضراء تستقبلهم.. وشعرها

الأحمر يتوهج ومساحيقها تخفي تجاعيد وجهها.
ـ أوسكار! ما أروع رؤيتك!
صوتها عذب أما وجهها فاكتسحته المرارة لأن عينيها وقعتا على جمال شعر يونا الأشقر الجذاب.
ـ وهذه يونا دون شك. ما أسعدني بمقابلتك عزيزتي.. علينا أن نكون متمدنين بشأن أمور كهذه.
ثم التفتت إلى أوسكار بطريقة عملية:
ـ هل اتخذت قرارك؟
ـ دعك من هذا.. ماذا قلت لمايك؟
ـ لمايك؟ لدى مايك حبيبي فكرة خاطئة عن رغبتي في أن يعيش معي! حبيبي مايك.. هل تراني من هذا النوع الذي قد تحتاج إليه؟ إن يونا خير مني في هذا المضمار فإن تزوجها والدك غدوتم عائلة رائعة. أليس كذلك؟ والآن أوسكار... ما هو قرارك؟
رد أوسكار بهدوء:
ـ حسن جداً هيلين.. سيكون لك المال الذي تريدينه على أن أتباحث معك بنود الاتفاق حالما ترجعين إلى نيويورك فعليك توقيع وثائق معينة.
ابتسمت هيلين بانتصار لديكنسون.
ـ طبعاً حبيبي.. ألا ترغب في احتساء شراب ما؟ بوب.. حبيبي...
أمسك أوسكار يونا بيده ومايك بالأخرى.
ـ شكراً فنحن ذاهبون.
ابتسمت هيلين.
ـ حسناً.. سأراك فيما بعد.
كان آخر ما شاهدته يونا الثوب الأخضر وقد ارتمى بين ذراعي بوب ديكنسون. بدأت رحلة العودة إلى اليخت بصمت لم يقطعه إلا

مايك حين قال بصوت مرتجف:

ـ لقد أنصت إلى ما كنت تقوله لديكنسون فلما سمعت اسم أمي، أردت معرفة ما يجري.. وحين سمعتك تقول إنها طلبتني، أردت رؤيتها لأرى ما تريد نفسي. وأعتقد أنني كنت غبياً أبله؟

هز أوسكار كتفيه دون مبالاة.

ـ ربما فعلت ما هو صواب.. لولا رؤيتك لها، لما عرفت ما إذا كنت أقول لك الحقيقة أم لا.. أليس كذلك مايك؟ هل أخبرتك بأمر يونا وبأمري؟

ـ أجل.. وكنت دهشاً لأنك لم تخبرني.

تنهد أوسكار.

ـ سأشرح لك الأمر فيما بعد.. ولكن لا تخشى شيئاً فليس في المسألة ما يسيء، فنحن ببساطة لم نحلم أن هذا كله سيتحقق.

ـ أبسبب أمي؟

ـ أجل، لقد تغيرت كثيراً منذ أن عاشرتها.. ولكن ما رأيك بيونا؟

كتمت يونا أنفاسها.. فنظر مايك إليها خجلاً:

ـ لا أمانع.. فأنا أحببتها ولكنها أكبر من أن تكون لي.

واحمّر وجهه بشدة، فمالت يونا إليه تحتضنه هامسة:

ـ أوه.. مايك! سنقضي أياماً ممتعة معاً...

بعد سنة على هذه الأحداث غادرت عائلة ديسموند منزلهم في شارع ريفر ساید على ضفة الهدسون وسافروا إلى ميامي على متن طائرة أوسكار الخاصة. هناك كانت الليموزين بانتظارهم، تلك السيارة التي أصبحت المفضلة لدى يونا، ففيها تعانقت للمرة الأولى مع أوسكار.

وبينما هم في الطريق نظرت إلى أوسكار ومن ثم إلى مايك الجالس في الخلف فسألها أوسكار وعيناه مشرقتان بالسعادة التي

تذوق رحيقها منذ أن تزوج أي منذ ثلاثة أشهر.

ـ سعيدة؟

ـ بشكل لا مثيل له.. كم من الوقت سنمكث هنا؟

ابتسم أوسكار:

ـ حوالي ستة أسابيع وحين يعود مايك إلى المدرسة، سأقدم استقالتي من رئاسة مجلس الإدارة ونصبح أصحاب أملاك وأراض زراعية. أمتأكدة من أن هذا ما تريدين؟ ألن تشتاقي للحياة الاجتماعية التي نحياها في نيويورك؟

ردت بصوت منخفض.

ـ حبيبي.. تزوجتك لأنني أحببتك ولأنني أردتك لنفسي فقط بعيداً عن موظفي وموظفات مؤسستك.

مال مايك إلى الأمام:

ـ أثناء العطل سأقوم بتربية خيول السباق واستيلادها وهي قد تجني علي مالاً وفيراً كما ذكر جورج.

ضحك أوسكار:

ـ مال؟ يا إلهي كم أمقت هذه الكلمة!

قالت يونا:

ـ مايك حبيبي ولماذا لا تجعل خيولك تشارك في السباق لمجرد المتعة؟

ابتسم مايك:

ـ ومن قال إنني أعترض.. ولكن جني المال وربحه يجري في دمي.

ضحكت يونا:

ـ حسن جداً.. يا لسعادتي! أكاد أبكي فرحاً.

نظر إليها أوسكار قائلاً:

ـ وأنا كذلك.

* * *